سورة الأعلى

[١٠٠٩] أخرج الطبراني عن ابن عباس قال: كان النبي [ﷺ] إذا أتاه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل من الوحي حتى يتكلم النبي [ﷺ] بأوله مخافة أن ينساه فأنزل الله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾(١) في إسناده جويبر ضعيف جداً. ك

* * *

[١٠٠٩] (١) سورة الأعلى: الآية (٦).

(٨٧) سُورة الأعلى مكية
وآياتها تسع عشرة

● **سورة** الأعلى من السور المكية ، وهي تعالج باختصار بعض المواضيع المتعلقة بالعقيدة الإسلامية وهي كالتالي : ١ – الذات العلية وبعض صفات الله جل وعلا ، وذكر الدلائل على القدرة والوحدانية . ٢ – الوحي والقرآن المنزَّل على خاتم الرسل ﷺ وبتيسير حفظه عليه ﷺ . ٣ – الموعظة الحسنة التي ينتفع بها أهل القلوب الحيَّة ويستفيد منها أهل السعادة والإيمان .

● **ابتدأت** السورة الكريمة بتنزيه الله جل وعلا ، الذي خلق فأبدع ، وصوَّر فأحسن ، وأخرج العشب والنبات رحمة بالعباد ، فهو الرب المعبود ، المنعوت بأكمل الصفات ﴿ سبّح اسم ربك الأعلى . الذي خلق فسوَّى . والذي قدَّر فهدى . والذي أخرج المرعى . فجعله غثاءً أحوى ﴾ .

● **ثم تحدثت** عن الوحي والقرآن ، وآنست الرسول ﷺ بالبشارة بتحفيظه هذا الكتاب المجيد ، وتيسير حفظه عليه بحيث لا ينساه إلا ما أراد الله نسخه من الأحكام ﴿ سنقرئك فلا تنسى : إلا ما شاء اللهُ إنه يعلم الجهر وما يخفى . ونيسرك لليسرى ﴾ .

● **ثم أمرت** بالتذكير بهذا القرآن ، الذي يستفيد من نوره وضيائه المؤمنون ، ويتعظ ويهتدي بهديه المتقون ، وميزت بينهم

وبين الأشقياء المجرمين ﴿فذكّرْ إن نفعت الذكرى . سيذَّكَّر من يخشى . ويتجنبها الأشقى . الذي يصلى النار الكبرى . ثم لا يموت فيها ولا يحيا﴾ .

وختمت السورة ببيان فوز من طهَّر نفسه من الذنوب والآثام ، وزكاها بصالح الأعمال ﴿قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى . بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خيرٌ وأبقى . إن هذا لفي الصحف الأولى . صحف ، إبراهيم وموسى﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأعلى[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾[١]

قوله عز وجل:[2] **سبح اسم ربك**، قيل فيه من أوجه. أحدها أن سبح ربك، وقيل: سبح اسمه،[3] وقيل: سبِّح ربَّك بأسمائه. فمن قال: سبّح ربك فمعناه أن نزّهه[4] عن جميع المعاني التي يحتملها غيرُه من الآفات والحاجات والأضداد والأنداد، فيكون القول به توحيدا. وروي عن مقاتل بن سليمان أنه قال: تأويله وحِّد ربك.[5] وتوحيده ما ذكرنا. وقال بعض المفسرين: تأويله أنْ صلِّ لربك. وهذا محتمل؛ لأن الصلاة بنفسها تسبيح،[6] [لأنه][7] بالافتتاح يَقطع وجوهَ المعاملات [التي] بينه وبين الخلق، ويمنع نفسه عن حوائجها فيجعلها لله[8] تعالى. وهذا هو التوحيد والإيمان؛ لأنه بالإيمان يجعل الأشياء كلها لله تعالى سالمة؛ فصارت الصلاة تسبيحا لعينها لا للتسبيح المجعول فيها. ومن حمل التسبيح على الاسم فقال: نزه اسمَه،

---

[1] ر – سورة الأعلى؛ ن: سورة سبح اسم ربك الأعلى؛ ث + وهي عشرة آيات مكية؛ م: سورة سبح اسم ربك.

[2] ن – قوله عز وجل.

[3] ن: أحدها أن سبح اسم ربك وقيل أن سبح ربك.

[4] جميع النسخ: أن نزه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٧و.

[5] انظر: *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٤٧٦.

[6] م: التسبيح.

[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٣٧و.

[8] ر: الله.

فذلك يرجع إلى الأسماء الذاتية [وإلى الأسماء الصفاتية. فتنزيهه الأسماء الذاتية][1] هو أن لا يشرك غيره[2] فيُسمّيَه بها، والأسماء الذاتية قوله: الله الذي لا إله غيره، والرحمن[3] وما أشبهه من الأسماء. [٩٠١و] وتنزيهه[4] الأسماء الصفاتيةَ / أن ينزّهها عن المعاني التي استوجب الخلقُ الوصفَ به كقولك: عالم، حكيم، رحيم، مجيد. فمن وُصِف بالعلم من الخلائق فإنما استوجب الوصف به بأغيار[5] دخلن فيه، واستوجب الوصف بالحكمة والوصف بالمدح بالأغيار. والله تعالى استحق الوصف به بذاته[6] لا بالأغيار[7] فينصرف التنزيه إلى الأغيار؛ إذ صفاته ليست بأغيار[8] للذات[9] وهي لا تفارق[10] الذات، فالامتداح الواقع بالصفات امتداح بالذات الموصوف بها. ***والله الموفق***.

وقال بعضهم: معناه سَبِّحْه[11] بالحمد والثناء، وهو يرجع إلى ما ذكرنا من التأويل الأول؛ وهو أن يحمده بالثناء الذي يتضمن التوحيد والتنزيه عن معاني الخلق. ومن قال: سبح ربك بأسمائه فهذا ظاهر، وهو أن يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأسماؤه معروفة لا يُحتاج إلى إظهارها.

وقوله عز وجل: **الأعلى**، فظاهره[12] يقتضي أن يكون هناك أدون وأسفلُ، وكذلك قوله: "الله أكبر" فظاهره[13] يقتضي الأصغر. ولكن معنى قوله: **الأعلى**، أي هو أعلى من أن تمسّه[14] حاجةٌ أو تلحقه[15] آفة، وكذلك هذا في الأكبر؛ ويكون الأكبر والأعلى في النهاية عن تنزيه المعاني التي ذكرنا؛ وهو كقوله هو أحسن وأجمل، فإذا قلت أحسن وأجمل أردت به النهاية في الحسن والجمال. أو يكون **الأعلى** بمعنى العليّ، والأكبر بمعنى الكبير، وذلك جائز في اللغة.

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٣٧و.
[2] ر م – غيره.
[3] جميع النسخ: الرحمن.
[4] ر م – وتنزيهه.
[5] ر ث م: بأعيان.
[6] م – بذاته.
[7] ن: لا بأغيار.
[8] ث – والله تعالى استحق الوصف به بذاته لا بالأغيار فينصرف التنزيه إلى الأغيار إذ صفاته ليست بأغيار.
[9] ث: بالذات.
[10] جميع النسخ: لا يفارق. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: سبح. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر م: فظاهر.
[13] ن: فظاهر.
[14] جميع النسخ: أن يمسه. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] جميع النسخ: أو يلحقه.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **الذي خلق فسوى**، يحتمل[١] أوجها. أحدها أن يكون سوّاه على ما قدّره خلافا لأفعال الخلق؛ لأن الفعل من الخلق يخرج مرةً سويا على ما قدّره، ومرة بخلافه. أو يكون سوّى الخلق كلّه في دلالة وحدانيته وشهادة ربوبيته؛ فما من خلق خَلَقَه إلا إذا[٢] تفكّر فيه العاقل دلت[٣] خلقتُه على معرفة الصانع ووحدانية الرب. أو سوّاه على ما فيه مصلحته ومنفعته. أو سواه على ما له خُلِق؛ ألا ترى أن الإنسان إذا أُمر بالركوع والسجود خَلَقَه من وجه يتمكن من الركوع والسجود؛ فهذا معنى قولنا أنه سوّاه على ما له خُلق. *والله أعلم*.

﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **والذي قدّر فهدى**، [فالتقدير يتوجه إلى المعاني التي ذكرناها في قوله: فَسَوَّى. وقوله: **فهدى**]،[٤] يحتمل أوجها. أحدها هداه إلى ما أحوجه إليه؛ فهدى العبدَ معيشتَه من أين يأخذها، وهدى كلّ دابة إلى رزقها وعَيْشها فعرفتْ كلُّ دابة رزقها. أو يكون قوله: **فهدى**، أي هدى به.[٥] أو تكون[٦] الهداية منصرفة إلى أمر الدين، وذلك يرجع إلى الخصوص من الخلق الذين لهم عقول مميزة؛ فيكون معناه هدى فيمن هدى.[٧] وطعنت المعتزلة علينا بهذه الآية فقالت: إنّ الله تعالى يقول: **قدّر فهدى**، وأنتم تقولون[٨] قدَّر فأضلَّ؛ ولكن هذا [الطعن في][٩] التحقيق راجع إليهم لأنهم يحملون تأويل الهداية على البيان، وإذا كان كذلك وقد بيّن الله تعالى سبيل الهدى وسبيل الضلال جميعا فإذًا قد أضلّه حيث بيّن لهم سبيلَ الضلال على قولهم.

---

[١] ن: ويحتمل.
[٢] ر: أدنى.
[٣] ن: دل.
[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٢٧و.
[٥] لعل المؤلف رحمه الله يقصد بقوله هذا: أي اهتدى العبد بهداية الله وتبيينه إلى ما اختار لنفسه.
[٦] جميع النسخ: أو يكون.
[٧] ث – فيمن هدى؛ م: فمن هدى.
[٨] ن: يقولون.
[٩] الزيادة من المرجع السابق.

ثم ليس في قوله: **قدر فهدى**، نفيُ الإضلال، إذ التخصيص بالذكر لا يدلّ على نفي ذلك عما عداه، فلم يجب قطع الحكم على ما ذكر. وقد ذَكر في موضع آخر المكرَمين بالهدى فقال: الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ،[1] الآية، فثبت أن الهدى راجع إلى الخصوص. فقوله: **قدّر**، أي قدّر لخلقه معايشهم وهداهم وجهَ أخذ المعيشة.

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾[٤] ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾[٥]

وقوله عز وجل: **والذي أخرج المرعى فجعله غثاءً أحوى**، ففي هذه الآيات[2] تعريف الرب الأعلى، كأنه يقول: الرب الأعلى الذي خلق فسوّى والذي قدّر فهدى والذي أخرج المرعى. ثم ذكر هذه الأشياء التي يُعْرَف[3] انقضاؤها وبدوّها وإنشاؤها وإهلاكها من المرعى وغيره؛ لأن وجه الدلالة بمعرفة الصانع بالأشياء التي يُعرَف بدوُّها وانقضاؤها وحدوثها وفناؤها أقربُ منه بالأشياء التي لم يشهد الخلق بدوها ولا انقضاءها، وهي السماوات والأرضون؛ إذ المرء يصل إلى وحدانية الرب ومعرفة الصانع بالأشياء التي تَحدُث وتتغيّر[4] بأدنى نظر وتأمل، ولا يصل[5] إلى ذلك فيما تدوم[6] إلا بلطائف فكرٍ وفضل بصر وزيادة تأملٍ. وجائز أن يكون خصّ المرعى بالذكر لِما بالمرعى قوام هذا الخلق؛ لأنه لا بدّ للبشر من الدوابّ والأنعام للتعيش، والدواب حياتها بالمراعي، فكان قِوام الخلق في التحصيل بإخراج المراعي، فذكّرهم هذا ليستأدي منهم الشكرَ. وإذا[7] كانت الدواب لم تُنشَأ[8] لأنفسها وإنما أنشئت للخلق ليتمتعوا بها، ثم الله تعالى بفضله أنشأ للدواب مراعيَ وقدّر لها أقواتها ولم يضيعها، فكيف يُضيّع هذا الخلقَ -وهم الذين قصد[9] إليهم من خلق هذا العالم- فلا يَرزقهم ويُخرجُهم من تدبيره؟

---

[1] سورة البقرة، ٢/١-٢.

[2] جميع النسخ: هذه الآية. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٧ظ.

[3] م: تعرف.

[4] جميع النسخ: يحدث ويتغير. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] ر ث م: ولا نصل.

[6] ر ث م: يدوم.

[7] جميع النسخ: أو إذا. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] جميع النسخ: لم ينشأ. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] م: قصدوا.

وقوله عز وجل: **فجعله غثاءً أحوى**، قيل: الغُثاء اليابس الذي تحمله[1] السيول والأمطار. **أحوى**، أي أسودَ من قِدَمه. وقيل: الأحوى هو[2] الأخضر الذي يَضرِب إلى السواد. وهو على التقديم والتأخير، أي جعله غثاء بعد ما كان أحوى.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾[٦] ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾[٧]

وقوله عز وجل: / **سنقرئك فلا تنسى**، أي سنحفظ[3] عليك ما أوحينا إليك من القرآن [٩٠١ظ] فلا تنسى. وفي حفظه عليه السلام ما يوحى إليه دلالةُ رسالته لأنه لم يكن يعرف الكتابة ولا كان يتلو الكتب، ثم كان يقرأ جميع ما يُلقى إليه بمرة واحدة مع ما كان مأمورا أن لا يحرّك لسانه بشيء مما يوحى إليه إلى أن يُقضَى إليه الوحيُ،[4] ومن كانت حالته ما ذكرنا تَعذَّر عليه حفظُ ما يلقى إليه بمرات وإن كان ذلك لسانَه، فكيف يضبطه بمرة واحدة؟ فكان حفظه بالمرة الواحدة نوعا من آيات نبوّته.

وقوله عز وجل: **إلا ما شاء الله**، قال بعضهم: تأويله إلا ما شاء الله من ذلك، فإنه يُنسيك ما أراد أن يُنسيَكه. ولكن ما أُرَى هذا التأويل صحيحا؛ وذلك أن الذي أوحَى إليه آيةُ نبوته، فرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ثم أُنسِي فَلِمَنْ طَعَن في رسالته أن يستقرئه تلك الآية، فلا يتهيأ له أن يقرأها إذا كان قد أُنسي، فيجد في ذلك موضعَ الطعن عليه. وقد روي في بعض الأخبار أنه أنسي، ولكنه من أخبار الآحاد ولا يجوز قطع[5] الحكم به؛ لأن خبر الآحاد يُوجب علم العمل ولا يوجب علمَ الشهادة، وهي في موضع الشهادة هنا.[6] ولكن تأويله عندنا -والله أعلم- يخرّج على أوجه ثلاثة. أحدها أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يكونوا آمنين على أنفسهم بالعصمة عن الزلات التي لديها يُخاف زوالُ ما أُنعِموا به وإن ظهرت عصمته اليوم عندنا. ألا ترى إلى قصة إبراهيم عليه السلام عند مُحاجَة قومه

---

[1] جميع النسخ: يحمله.

[2] م: هي.

[3] ث: أي سيحفظ.

[4] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿لا تُحَرِك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه﴾ (سورة القيامة، ٧٥/١٦-١٩)؛ وقوله: ﴿فتعالى الله الملك الحق ولا تَعْجَلْ بالقرآن من قبل أن يُقْضَى إليك وحيُه وقل رب زدني علما﴾ (سورة طه، ٢٠/١١٤).

[5] ر م - قطع.

[6] جميع النسخ: هاهنا. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٣٧ظ.

قال: أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا،[1] وقال: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ،[2] فخاف زوالَ ما أُكرِم به، وخشي أن يُبتلَى بما ابتلي[3] به أهلُ المعاصي حتى فزع إلى الدعاء. وقال في قصة شعيب عليه السلام: وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا،[4] وقال في قصة يوسف عليه السلام: مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ.[5] فثبت أنه لم يتبيّن لهم حقيقة العصمة عن الوقوع في الزلات التي تزيل النِعَم، فكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُؤمَن عما يُعقِب[6] الإنساءَ، بل قيل له: **سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله**، ألا ترى إلى قوله: وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ،[7] فثبت أنهم كانوا على خوف ووَجَلٍ عن ارتكاب ما يُسلَب به الوحيُ ويُنسَى.

أو يكون الاستثناء راجعا إلى إنساء حكمه،[8] وهو أن يُنسخ حكمه حتى يترك وينسى فيصيرَ[9] كالمنسي كقوله: نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ،[10] أي جعلهم كالشيء المنسيّ بما أيلسهم[11] من رحمته، لا أن يكون هناك حقيقة نسيان؛ فكذلك إذا نسخ حكمُه وتُرِك صار كالمنسي وإن لم تكن[12] فيه حقيقة نسيان؛ فيكون نسيانه[13] منصرفا إلى حكم التلاوة لا إلى عينها.[14]

أو يكون عليه السلام يذهب خاطرُه عن بعض ما يوحى إليه إذا اشتغلت[15] فكرتُه في أشياءَ أُخَر، فيصير الذي ذهب[16] عن وهمه كأنه نسيه وإن كان يعود ذلك إليه عند إحضاره ذهنه،

---

[1] سورة الأنعام، ٦/٨٠.
[2] ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٣٥).
[3] م – بما ابتلي.
[4] ﴿قدِ افْتَرَيْنَا على الله كَذِبًا إن عُدْنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾ (سورة الأعراف، ٧/٨٩).
[5] سورة يوسف، ١٢/٧٦.
[6] جميع النسخ: عما تعقب.
[7] سورة الزمر، ٣٩/٦٥.
[8] ت: حكمته.
[9] ر م: ويصير.
[10] سورة التوبة، ٩/٦٧.
[11] ر ت م: بما أنسيهم.
[12] جميع النسخ: وإن لم يكن.
[13] ت: النسيان.
[14] ر ت م: أعينها.
[15] ن: إذا اشتغل.
[16] ر ت م – عن بعض ما يوحى إليه إذا اشتغلت فكرته في أشياء أخر فيصير الذي ذهب.

كما نرى[1] المرء في الشاهد يذهب عن وهمه جميعُ ما في فاتحة الكتاب من الحروف إذا أعمل رَوِيّتَه في أشياء أخر حتى يصير كالناسي لها وإن كان يعود إلى تذكرها إذا رام أن يقرأها. فعلى هذه التأويلات يستقيم أن يوجه إليها الاستثناء. *والله أعلم*.[2]

وقوله عز وجل: **إنه يعلم الجهر وما يخفى**، أي ما يَجهر بعض لبعض من الخلائق، وما يُسِرّ بعض عن بعض. أو يعلم ما يطّلع[3] عليه الملائكة من أعمالهم، ويعلم ما يَعْزُب عنهم، فعلمُه فيما أسرَ العبدُ كعلمه فيما أظهر وجَهر به، فذكّرهم هذا ليكونوا متيقظين، فلا يُخفون[4] ولا يجهرون إلا الذي يحق علهم، إذ الله تعالى حفيظ عليهم [لا يَغفُل عنهم].[5]

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾[٨]

وقوله عز وجل: **ونيسرك لليسرى**، قالوا: أي نيسرك[6] للخير ولعمل أهل الجنة، فسمّيت أعمال الخير [يُسْرَى لأن ثمرتها اليسرى، وهي الجنة؛ وسميت المعاصي عُسْرَى][7] لأنها تُعقِب ذلك. *والله أعلم*.

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾[٩]

وقوله عز وجل: **فذكر إن نفعت الذكرى**، فظاهر هذا يقتضي أن لا يُذكِّر إلا من نفعته الذكرى، ولكنّ تخصيص الحكم في حال بوصف لا يوجب قطع الحكم فيما كان الحال بخلاف ذلك الوصف، بل يلزمه أن يُذَكِّر من نفعته ومن لا تنفعه؛ قال الله تعالى: فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ،[8]

---

[1] ر ث م: كما ترى؛ ن: كما يرى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٨و.

[2] في نسخة *الشرح* (مكتبة ولي الدين أفندي تحت رقم ٤٢٦، ورقة ٣٣٨و/سطر ١٢-١٧) زيادة: «والإشكال على رد الشيخ رحمه الله أن الله تعالى يُنسي على من كان عنده تلك الآية التي أنساها الله تعالى على نبيه حتى لا يعارضه بها. ولكن الجواب قد ثبت عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إن مما يتلى في كتاب الله تعالى 'الشيخ والشيخة إذا زنيا..." فيجوز أن يكون محفوظة عندهم وعلى موجب ما رده نسخ التلاوة وينبغي أن لا يجوز فإن تفسيرها أن يُنْسَى عن القلوب. قلنا: ليس كذلك فإن عمر كان يحفظها والتلاوة منسوخة ولكن الله تعالى يجوز أن يأمر بتلاوة عامة القرآن ولم يأمر بالبعض ابتداء كما أمر بالعبادة في بعض الأوقات دون بعض وأمر بتفسير بعض القرآن ونهي عن تفسير المتشابه ابتلاء، كذا هذا».

[3] ن: تطلع.

[4] ر م: فلا يخافون.

[5] الزيادة من المرجع السابق.

[6] جميع النسخ: قالوا ونيسرك. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] الزيادة من المرجع السابق.

[8] ر ن ث + الآية. سورة الغاشية، ٢١/٨٨.

أمر بالتذكير على الإطلاق. ثم قوله تعالى: **إنْ نَفَعَتِ الذكرى**، يحتمل وجهين. أحدهما أنْ ذَكِّر فقد نفعت الذكرى، وهو كقوله تعالى: وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا،[1] ومعناه قد كان وعد ربنا مفعولا. وقد نفعت[2] الذكرى لأنه بتذكيره أسلم مَن أسلم منهم، وبه فازوا وبه نالوا الدرجاتِ[3] العُلَى. وقال تعالى: وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ.[4] أو يكون قوله تعالى: **فذكر**، ما نفعت الذكرى، فسيأتي على أقوام حال[5] لا تنفعهم الذكرى لديها، وتلك حالة المعاينة لبأس الله تعالى وعذابه.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **سيذكر من يخشى**، أي يتّعظ بها من يخشى الله تعالى أو الميعادَ، قال الله تعالى: وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ،[6] أي بالقرآن. وذلك أن الذي يحملهم على [٩٠٢و] الإيمان / بالآخرة إيمانُهم بهذا الكتاب؛ لأن في القرآن تذكيرا للآخرة وأمرا بالاستعداد لها، فكذلك[7] خشيته[8] تحمله[9] على الاتعاظ بالذكرى والانتفاع بها. والخشية هي الخوف اللازم في القلب.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾[١١] ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى**، فأضاف[10] التجنب هاهنا إلى الأشقى، وهو[11] الشقي،[12] وفيما ذَكَر الأتقى أضافَ التجنب إلى نفسه، بقوله: وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى،[13] فيكون في هذا دلالةُ الإذن بإضافة الخيرات إلى الله تعالى،

---

[1] سورة الإسراء، ١٧/١٠٨.
[2] جميع النسخ: وقد تعقب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٨و.
[3] ر: للدرجات.
[4] سورة الذاريات، ٥١/٥٥.
[5] الزيادة من المرجع السابق.
[6] سورة الأنعام، ٦/٩٢.
[7] ر ث م: وذلك.
[8] م: خشية.
[9] ر ث: يحمله.
[10] ر م: فأضافت.
[11] ر ث م: وهي.
[12] ر م: الأشقى.
[13] سورة الليل، ٩٢/١٧-١٨.

وفي الأول دلالةُ منع إضافة الشرور إليه. وهذا لأن إضافة الخيرات إلى الله تعالى يخرج مخرج الشكر له وهو حقيق بأن يُشكَر نعمُه، وليس في إضافة الشرور إلى آخر شكر، فلم يصلح أن يضاف إليه. *والله أعلم*.

﴿**ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى**﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **ثم لا يموت فيها ولا يحيى**، أي لا تنقضي[١] عنه أفعال الموت، وهي آلامها وأوجاعها، بل يبقى في آلامها أبدا، قال الله تعالى: وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ،[٢] أي لا يُقضَى عليه حتى يتخلصَ من أوجاعها. **ولا يحيى**، فالحياة التي يُنتفع بها في الدنيا هي التي يرتفع عنها آلام الموت وأوجاعه.[٣] فقوله: **ولا يحيى**، أي لا يرتفع عنه ألم الموت. أو يكون قوله: **لا يموت فيها** فيستريحَ، **ولا يحيى** حياةً يتلذذ بها.

﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى**﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **قد أفلح من تزكى**، أي أتى بما يُزكِّي[٤] به نفسَه، أو أتى بما يُطهِّر نفسَه به. وسنذكر[ها][٥] في سورة "والشمس وضحاها" مع تأويل الفلاح،[٦] إن شاء الله تعالى.[٧]

﴿**وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى**﴾[١٥]

وقوله: **وذكر اسم ربه فصلى**، يحتمل أن يكون أريد به أنواع العبادات لا الصلاة المعروفةُ وحدها؛ لأن الصلاة اسم للدعاء والثناء ولأنواع من المكرُمات[٨] فإنه يذكر ما يصل[٩] [به] إلى العبادات، ومن أعرض عن ذكره حُرِم من العبادات.[١٠] أو يكون منصرفا إلى الصلاة المعروفة فيكون قوله: **وذكر اسم ربه فصلى**، أي يصلي[١١] بتقديمه اسم الرب،

---

[١] جميع النسخ: لا ينقضي.
[٢] سورة إبراهيم، ١٤/١٧.
[٣] ر ث م – فالحياة التي ينتفع بها في الدنيا هي التي يرتفع عنها آلام الموت وأوجاعه.
[٤] ر م: بما تزكو؛ ن ث: بما تزكوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٣٨ظ.
[٥] أي تزكية النفس.
[٦] ن: القلاع.
[٧] ن – إن شاء الله تعالى. انظر عند تأويل الآيتين ٩ و ١٠ من سورة الشمس.
[٨] ر م: من الكرامات؛ ث: من المكارم.
[٩] جميع النسخ: فإنه يقول يذكر الرب ما يصل. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ن: إذ العبادات.
[١١] ن: نصلي.

ويكون[1] [ذلك][2] منصرفا إلى الافتتاح؛ فيكون فيه[3] حجةٌ لأبي[4] حنيفة رحمه الله أنّ المصلي له أن يفتتح صلاته بأي أسماء الله تعالى أحبَّ. ثم ذِكر اسم الرب يقتضي المعاني التي ذكرنا في قوله تعالى: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى.[5]

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[١٦] ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى**، أي تؤثرون[6] حياتها على حياة الآخرة. ويكون الخطاب منصرفا إلى المنافقين والكفرة، لا إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. ثم كانوا في الإيثار مختلفين، فمنهم من آثرها في أن ينظر[7] في الدنيا وأعرض عن النظر في الآخرة وجَحَدَها، ومنهم من كان أغلبُ سعيه لأمر[8] الدنيا، ومنهم من كان يؤثر بعضَ أحوالها على الآخرة. وقوله عز وجل: **والآخرة خير وأبقى**، أي إيثار الحياة الآخرة خيرٌ وأبقى من إيثار الحياة الدنيا.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾[١٨] ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى**، قال بعضهم: الآيات الأربع في صحف إبراهيم وموسى[9] أوّلهنّ: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى -إلى قوله- خَيْرٌ وَأَبْقَى،[10] وقال بعضهم: السورة[11] كلّها أنزلت على إبراهيم وموسى عليهما السلام. فإن كانت السورة كلّها في الصحف الأولى فجميع ما في هذه[12] السورة ذكر فيها بحق الحاجة لهم إلى تعرفها،

---

[1] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٨ظ.
[2] الزيادة من المرجع السابق.
[3] ر – فيه.
[4] ر: أبي حنيفة.
[5] الآية ١ من هذه السورة.
[6] جميع النسخ: أي يؤثرون. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: من آثارها في أن نظر. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر ن ث: لا من.
[9] جميع النسخ: موسى وإبراهيم. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾ (سورة الأعلى، ١٤/٨٧-١٧).
[11] ر ن: السور.
[12] ر ث م – هذه.

ويكون قوله: سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى،[1] مذكورا بحق الثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ووجه الثناء ما ذكر في قوله: يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ،[2] إلى آخر الآية. وهو يستحق الثناء بهذا الحرف لما في حفظه عليه السلام جميعَ ما يوحى إليه بمرة واحدة إكرام له وتفضيلٌ، فصلح أن يثنى عليه بهذا.

وفي قوله تعالى: **إن هذا لفي الصحف الأولى صحفِ إبراهيم وموسى**، دلالةُ أنَّ اختلاف الألسن لا يغيّر الأشياء عن حقائقها؛ لأن الله تعالى شهد بكون هذا في الصحف الأولى، فليس في الصحف الأولى بهذا اللسان؛ فيكون فيه حجة لأبي حنيفة رحمه الله في تجويز القراءة بالفارسية.

والله أعلم.[3]

---

[1] الآية ٦ من هذه السورة.

[2] ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ (سورة الأعراف، ١٥٧/٧).

[3] ر ن ث – والله أعلم.

سورة الأعلى

تسع عشرة آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾

فيه مسائل:

المسألة الأولى: في قوله: ﴿اسْمَ رَبِّكَ﴾ قولان: أحدهما: أن المراد الأمر بتنزيه اسم الله وتقديسه والثاني: أن الاسم صلة والمراد الأمر بتنزيه الله تعالى. أما على الوجه الأول ففي اللفظ احتمالات أحدها: أن المراد نزه اسم ربك عن أن تسمي به غيره، فيكون ذلك نهيًا على أن يدعى غيره باسمه، كما كان المشركون يسمون الصنم باللات، ومسيلمة برحمان اليمامة وثانيها: أن لا يفسر أسماءه بما لا يصح ثبوته في حقه سبحانه نحو أن يفسر الأعلى بالعلو في المكان والاستواء بالاستقرار بل يفسر العلو بالقهر والاقتداء والاستواء بالاستيلاء وثالثها: أن يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم، ويدخل فيه أن يذكر تلك الأسماء عند الغفلة وعدم الوقوف على معانيها وحقائقها ورابعها: أن يكون المراد بسبح باسم ربك، أي مجده بأسمائه التي أنزلتها عليك وعرفتك أنها أسماؤه كقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] ونظير هذا التأويل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤] ومقصود الكلام من هذا التأويل أمران: أحدهما: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، أي صل باسم ربك، لا كما يصلي المشركون بالمكاء والتصدية والثاني: أن لا يذكر العبد ربه إلا بأسماء التي ورد التوقيف بها، قال الفراء: لا فرق بين ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ وبين ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [الواقعة: ٩٦] قال الواحدي: وبينهما فرق لأن معنى ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ نزه الله تعالى بذكر اسمه المنبيء عن تنزيهه وعلوه عما يقول المبطلون، و ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي نزه الاسم من السوء وخامسها: قال أبو مسلم: المراد من الاسم ههنا الصفة، وكذا في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] أما على الوجه الثاني وهو أن يكون الاسم صلة ويكون المعنى سبح ربك وهو اختيار جمع من المحققين، قالوا: لأن الاسم في الحقيقة لفظة مؤلفة من حروف ولا يجب تنزيهها كما يجب في الله تعالى، ولكن المذكور إذا كان في غاية العظمة لا يذكر هو بل يذكر اسمه فيقال: سبح اسمه، ومجد ذكره، كما يقال: سلام على المجلس العالي، وقال لبيد:

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا[١]

أي السلام وهذه طريقة مشهورة في اللغة، ونقول على هذا الوجه: تسبيح الله يحتمل وجهين الأول: أن لا يعامل الكفار معاملة يقدمون بسببها على ذكر الله بما لا ينبغي على ما قال: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، الثاني: أنه عبارة عن تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به، في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، وفي أسمائه وفي أحكامه، أما في ذاته فأن يعتقد أنها ليست من الجواهر والأعراض، وأما في صفاته، فأن يعتقد أنها ليست محدثة ولا متناهية ولا ناقصة، وأما في أفعاله فأن يعتقد أنه مالك مطلق، فلا اعتراض لأحد عليه في أمر من الأمور، وقالت المعتزلة هو أن يعتقد أن كل ما فعله فهو صواب حسن، وأنه لا يفعل القبيح ولا يرضى به، وأما في أسمائه فأن لا يذكر سبحانه إلا بالأسماء التي ورد التوقيف بها، هذا عندنا وأما عند المعتزلة فهو أن لا يذكر إلا بالأسماء التي لا توهم نقصًا بوجه من الوجوه سواء ورد الإذن بها أو لم يرد، وأما في أحكامه فهو أن يعلم أنه ما كلفنا لنفع يعود إليه، بل إما لمحض المالكية على ما هو قولنا، أو لرعاية مصالح العباد على ما (هو) قول المعتزلة.

المسألة الثانية: من الناس من تمسك بهذه الآية في أن الإسم نفس المسمى، فأقول: إن الخوض في الاستدلال لا يمكن إلا بعد تلخيص محل النزاع، فلا بد ههنا من بيان أن الإسم ما هو والمسمى ما هو حتى يمكننا أن نخوض في الاسم هل هو نفس المسمى أم لا، فنقول: وإن كان المراد من الاسم هو هذا اللفظ، وبالمسمى تلك الذات، فالعاقل لا يمكنه أن يقول: الاسم هو المسمى، وإن كان المراد، من الاسم هو تلك الذات، وبالمسمى أيضًا تلك الذات كان قولنا الاسم نفس المسمى، هو أن تلك الذات نفس تلك الذات، وهذا لا يمكن أن ينازع فيه عاقل، فعلمنا أن هذه المسألة في وصفها ركيكة. وإن كان كذلك كان الخوض في ذكر الاستدلال عليه أرك وأبعد بل ههنا دقيقة، وهي أن قولنا: اسم لفظة جعلناها اسمًا لكل ما دل على معنى غير مقترن بزمان، والاسم كذلك فيلزم أن يكون الاسم إسمًا لنفسه فههنا الاسم نفس المسمى فلعل العلماء الأولين ذكروا ذلك فاشتبه الأمر على المتأخرين، وظنوا أن الاسم في جميع المواضع نفس المسمى، هذا حاصل التحقيق في هذه المسألة، ولنرجع إلى الكلام المألوف، قالوا: الذي يدل على أن الاسم نفس المسمى أن أحدًا لا يقول سبحان اسم الله وسبحان اسم ربنا فمعنى ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ سبح ربك، والرب أيضًا اسم فلو كان غير المسمى لم يجز أن يقع التسبيح عليه، واعلم أن هذا الاستدلال ضعيف لما بينا في المسألة الأولى أنه يمكن أن يكون الأمر واردًا بتسبيح الاسم، ويمكن أن يكون المراد تسبيح المسمى وذكر الاسم صلة فيه. ويمكن أن يكون المراد سبح باسم ربك كما يقال: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤] ويكون

(١) تقدمت ترجمة لبيد.

المعنى سبح ربك بذكر أسمائه.

المسألة الثالثة: روى عن عقبة بن عامر أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال لنا رسول الله ﷺ: «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ» ولما نزل قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال: «اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ»(١) ثم روي في الأخبار أنه عليه السلام كان يقول: في ركوعه: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ» وفي سجوده: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى» ثم من العلماء من قال: إن هذه الأحاديث تدل على أن المراد من قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ أي صل باسم ربك، ويتأكد هذا الاحتمال بإطباق المفسرين على أن قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧] ورد في بيان أوقات الصلاة.

المسألة الرابعة: قرأ علي عليه السلام وابن عمر: (سُبْحَانَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى) ولعل الوجه فيه أن قوله: ﴿سَبِّحِ﴾ أمر بالتسبيح فلا بد وأن يذكر ذلك التسبيح وما هو إلا قوله: سبحان ربي الأعلى.

المسألة الخامسة: تمسكت المجسمة في إثبات العلو بالمكان بقوله: ﴿رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ والحق أن العلو بالجهة على الله تعالى محال، لأنه تعالى إما أن يكون متناهيًا أو غير متناه، فإن كان متناهيًا كان طرفه الفوقاني متناهيًا، فكان فوقه جهة فلا يكون هو سبحانه أعلى من جميع الأشياء وأما إن كان غير متناه فالقول: بوجود أبعاد غير متناهية محال وأيضًا فلأنه إن كان غير متناه من جميع الجهات يلزم أن تكون ذاته تعالى مختلطة بالقاذورات تعالى الله عنه، وإن كان غير متناه من بعض الجهات ومتناهيًا من بعض الجهات كان الجانب المتناهي مغايرًا للجانب غير المتناهي فيكون مركبًا من جزأين، وكل مركب ممكن، فواجب الوجود لذاته ممكن الوجود، هذا محال. فثبت أن العلو ههنا ليس بمعنى العلو في الجهة، مما يؤكد ذلك أن ما قبل هذه الآية وما بعدها ينافي أن يكون المراد هو العلو بالجهة، أما قبل الآية فلأن العلو عبارة عن كونه في غاية البعد عن العالم، وهذا لا يناسب استحقاق التسبيح والثناء والتعظيم، أما العلو بمعنى كمال القدرة والتفرد بالتخليق والإبداع فيناسب ذلك، والسورة ههنا مذكورة لبيان وصفه تعالى بما لأجله يستحق الحمد والثناء والتعظيم، وأما ما بعد هذه الآية فلأنه أردف قوله: ﴿ٱلْأَعْلَى﴾ بقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ والخالقية تناسب العلو بحسب القدرة لا العلو بحسب الجهة.

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود في كتاب (الصلاة) باب (ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده) (١/ ٢٢٩) حديث رقم (٨٦٩) من طريق ابن المبارك... به وابن ماجه في كتاب (الصلاة) باب (التسبيح في الركوع والسجود) (١/ ٢٨٧) حديث رقم (٨٨٧) من طريق ابن المبارك... به وابن خزيمة في (صحيحه) (١) حديث رقم (٦٠٠/ ٦٧٠) من طريق عبد الله بن يزيد... به وفي (١) حديث رقم (٦٠١/ ٦٧٠) من طريق ابن المبارك... به وأحمد في (مسنده) (٤/ ١٥٥) قال: حدثنا أبو عبد الرحمن والدارمي في كتاب (الصلاة) باب (ما يقال في الركوع) (١/ ٣١١) حديث رقم (١٣٠٥) من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ... به، جميعا (ابن المبارك، ابن يزيد، أبو عبد الرحمن) عن موسي بن أيوب... به.

المسألة السادسة: من الملحدين من قال: بأن القرآن مشعر بأن للعالم ربين أحدهما عظيم والآخر أعلى منه، أما العظيم فقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤] وأما الأعلى منه فقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ فهذا يقتضي وجود رب آخر يكون هذا أعلى بالنسبة إليه.

واعلم أنه لما دلت الدلائل على أن الصانع تعالى واحد سقط هذا السؤال، ثم نقول ليس في هذه الآية أنه سبحانه وتعالى أعلى من رب آخر، بل ليس فيه إلا أنه أعلى، ثم لنا فيه تأويلات.

الأول: أنه تعالى أعلى وأجل وأعظم من كل ما يصفه به الواصفون، ومن كل ذكر يذكره به الذاكرون، فجلال كبريائه أعلى من معارفنا وإدراكاتنا، وأصناف آلائه ونعمائه أعلى من حمدنا وشكرنا، وأنواع حقوقه أعلى من طاعاتنا وأعمالنا.

الثاني: أن قوله: ﴿ٱلْأَعْلَى﴾ تنبيه على استحقاق الله التنزيه من كل نقص فكأنه قال سبحانه فإنه: الأَعْلَى أي فإنه العالي على كل شيء بملكه وسلطانه وقدرته، وهو كما تقول: اجتنبت الخمر المزيلة للعقل أي اجتنبتها بسبب كونها مزيلة للعقل.

والثالث: أن يكون المراد بالأعلى العالي كما أن المراد بالأكبر الكبير.

المسألة السابعة: روي أنه عليه السلام كان يحب هذه السورة ويقول: «لَوْ عَلِمَ النَّاسُ عِلْمَ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى لَرَدَّدَهَا أَحَدُهُمْ سِتَّ عَشْرَةَ مَرَّةً»(١) وروى: (أن عائشة مرت بأعرابي يصلي بأصحابه فقرأ: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى، الَّذِي يُسِرُّ عَلَى الْحُبْلَى، فَأَخْرَجَ مِنْهَا نَسَمَةً تَسْعَى، مِنْ بَيْنِ صِفَاقٍ وَحَشَا، أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى، أَلاَ بَلَى أَلاَ بَلَى) فَقَالَتْ عَائِشَةُ: (لاَ آبَ غَائِبُكُمْ، وَلاَ زَالَتْ نِسَاؤُكُمْ فِي لَزْبَةٍ) والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ فاعلم أنه سبحانه وتعالى لما أمر بالتسبيح، فكأن سائلاً قال: الاشتغال بالتسبيح إنما يكون بعد المعرفة، فما الدليل على وجود الرب؟ فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ واعلم أن الاستدلال بالخلق والهداية هي الطريقة المعتمدة عند أكابر الأنبياء عليهم السلام والدليل عليه ما حكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام، أنه قال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨] وحكى عن فرعون أنه لما قال لموسى وهرون عليهما السلام: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩]؟ قال موسى عليه السلام: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] وأما محمد عليه السلام فإنه تعالى أول ما أنزل عليه هو قوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١، ٢] هذا إشارة إلى الخلق، ثم قال: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق: ٣، ٤] وهذا إشارة إلى الهداية، ثم إنه تعالى أعاد ذكر تلك الحجة في هذه السورة، فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ وإنما وقع الاستدلال بهذه الطريقة كثيرًا لما ذكرنا أن العجائب والغرائب في هذه الطريقة أكثر، ومشاهدة الإنسان لها، واطلاعه عليها أتم، فلا جرم كانت أقوى في الدلالة، **ثم ههنا مسائل:**

(١) لم أجده.

المسألة الأولى: قوله: ﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ يحتمل أن يريد به الناس خاصة، ويحتمل أن يريد الحيوان، ويحتمل أن يريد كل شيء خلقه، فمن حمله على الإنسان ذكر للتسوية وجوهًا أحدها: أنه جعل قامته مستوية معتدلة وخلقته حسنة، على ما قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] وأثنى على نفسه بسبب خلقه إياه، فقال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وثانيها: أن كل حيوان فإنه مستعد لنوع واحد من الأعمال فقط، وغير مستعد لسائر الأعمال، أما الإنسان فإنه خلق بحيث يمكنه أن يأتي بجميع أفعال الحيوانات بواسطة آلات مختلفة فالتسوية إشارة إلى هذا وثالثها: أنه هيأ للتكليف والقيام بأداء العبادات، وأما من حمله على جميع الحيوانات. قال: المراد أنه أعطى كل حيوان ما يحتاج إليه من أعضاء وآلات وحواس، وقد استقصينا القول في هذا الباب في مواضع كثيرة من هذا الكتاب، وأما من حمله على جميع المخلوقات، قال: المراد من التسوية هو أنه تعالى قادر على كل الممكنات عالم بجميع المعلومات، خلق ما أراد على وفق ما أراد موصوفًا بوصف الأحكام والإتقان، مبرأ عن الفسخ والاضطراب.

المسألة الثانية: قرأ الجمهور: ﴿قَدَّرَ﴾ مشددة وقرأ الكسائي على التخفيف، أما قراءة التشديد فالمعنى أنه قدر كل شيء بمقدار معلوم، وأما التخفيف فقال القفال: معناه ملك فهدى وتأويله: أنه خلق فسوى، وملك ما خلق، أي تصرف فيه كيف شاء وأراد، وهذا هو الملك فهداه لمنافعه ومصالحه، ومنهم من قال: هما لغتان بمعنى واحد، وعليه قوله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣] بالتشديد والتخفيف.

المسألة الثالثة: أن قوله: ﴿قَدَّرَ﴾ يتناول المخلوقات في ذواتها وصفاتها كل واحد على حسبه فقدر السموات والكواكب والعناصر والمعادن والنبات والحيوان والإنسان بمقدار مخصوص من الجثة والعظم، وقدر لكل واحد منها من البقاء مدة معلومة ومن الصفات والألوان والطعوم والروائح والأيون والأوضاع والحسن والقبح والسعادة والشقاوة والهداية والضلالة مقدارًا معلومًا على ما قال: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١] وتفصيل هذه الجملة مما لا يفي بشرحه المجلدات، بل العالم كله من أعلى عليين إلى أسفل السافلين، تفسير هذه الآية. وتفصيل هذه الجملة.

أما قوله: ﴿فَهَدَىٰ﴾ فالمراد أن كل مزاج فإنه مستعد لقوة خاصة وكل قوة فإنها لا تصلح إلا لفعل معين، فالتسوية والتقدير عبارة عن التصرف في الأجزاء الجسمانية وتركيبها على وجه خاص لأجله تستعد لقبول تلك القوى، وقوله: ﴿فَهَدَىٰ﴾ عبارة عن خلق تلك القوى في تلك الأعضاء بحيث تكون كل قوة مصدرًا لفعل معين، ويحصل من مجموعها تمام المصلحة، وللمفسرين فيه وجوه، قال مقاتل: هدى الذكر للأنثى كيف يأتيها، وقال آخرون: هداه للمعيشة ورعاه، وقال آخرون: هدى الإنسان لسبل الخير والشر والسعادة والشقاوة، وذلك لأنه جعله

حساسًا دراكًا متمكنًا من الإقدام على ما يسره والإحجام عما يسوءه كما قال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] وقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨] وقال السدي: قدر مدة الجنين في الرحم ثم هداه للخروج وقال الفراء: قدر فهدى وأضل، فاكتفى بذكر إحداهما: كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] وقال آخرون: الهداية بمعنى الدعاء إلى الإيمان كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ﴾ [الشورى: ٥٢] أي تدعو، وقد دعى الكل إلى الإيمان، وقال آخرون: هدى أي دلهم بأفعاله على توحيده وجلال كبريائه، ونعوت صمديته، وفردانيته، وذلك لأن العاقل يرى في العالم أفعال محكمة متقنة منتسقة منتظمة، فهي لا محالة تدل على الصانع القديم، وقال قتادة في قوله: ﴿فَهَدَىٰ﴾ إن الله تعالى ما أكره عبدًا على معصية، ولا على ضلالة، ولا رضيها له ولا أمره بها، ولكن رضي لكم الطاعة، وأمركم بها، ونهاكم عن المعصية، واعلم أن هذه الأقوال على كثرتها لا تخرج عن قسمين، فمنهم من حمل قوله: ﴿فَهَدَىٰ﴾ على ما يتعلق بالدين كقوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠] ومنهم من حمله على ما يرجع إلى مصالح الدنيا، والأول أقوى، لأن قوله: ﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ﴾ يرجع إلى أحوال الدنيا، ويدخل فيه إكمال العقل والقوى، ثم أتبعه بقوله: ﴿فَهَدَىٰ﴾ أي كلفه ودله على الدين، أما قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ فاعلم أنه سبحانه لما بين ما يختص به الناس أتبعه بذكر ما يختص به غير الناس من النعم: فقال: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ أي هو القادر على إنبات العشب لا الأصنام التي عبدتها الكفرة، والمرعى ما تخرجه الأرض من النبات ومن الثمار والزروع والحشيش، قال ابن عباس: المرعى الكلأ الأخضر، ثم قال: فجعله غثاء أحوى، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: الغثاء ما يبس من النبت فحملته الأودية والمياه وألوت به الرياح، وقال قطرب واحد الغثاء غثاءة.

المسألة الثانية: الحوة السواد، وقال بعضهم: الأحوى هو الذي يضرب إلى السواد إذا أصابته رطوبة، وفي أحوى قولان: أحدهما: أنه نعت الغثاء أي صار بعد الخضرة يابسًا فتغير إلى السواد، وسبب ذلك السواد أمور أحدها: أن العشب إنما يجف عند استيلاء البرد على الهواء، ومن شأن البرودة أنها تبيض الرطب وتسود اليابس وثانيها: أن يحملها السيل فيلصق بها أجزاء كدرة فتسود وثالثها: أن يحملها الريح فتلصق بها الغبار الكثير فتسود القول الثاني: وهو اختيار الفراء وأبي عبيدة، وهو أن يكون الأحوى هو الأسود لشدة خضرته، كما قيل: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤] أي سوداوان لشدة خضرتهما، والتقدير الذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء، كقوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ [الكهف: ١، ٢] أي أنزل قيمًا ولم يجعل له عوجًا.

قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝﴾

اعلم أنه تعالى لما أمر محمدًا بالتسبيح فقال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] وعلم محمدًا

عليه السلام أن ذلك التسبيح لا يتم ولا يكمل إلا بقراءة ما أنزله الله تعالى عليه من القرآن، لما بينا أن التسبيح الذي يليق به هو الذي يرتضيه لنفسه، فلا جرم كان يتذكر القرآن في نفسه مخافة أن ينسى فأزال الله تعالى ذلك الخوف عن قلبه بقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قال الواحدي: ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ أي سنجعلك قارئًا بأن نلهمك القراءة فلا تنسى ما تقرؤه، والمعنى نجعلك قارئًا للقرآن تقرؤه فلا تنساه، قال مجاهد ومقاتل والكلبي: كان عليه السلام إذا نزل عليه القرآن أكثر تحريك لسانه مخافة أن ينسى، وكان جبريل لا يفرغ من آخر الوحي حتى يتكلم هو بأوله مخافة النسيان، فقال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ أي سنعلمك هذا القرآن حتى تحفظه، ونظيره قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾[طه: ١١٤] وقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[القيامة: ١٦] ثم ذكروا في كيفية ذلك الاستقراء والتعليم وجوهًا أحدها: أن جبريل عليه السلام سيقرأ عليك القرآن مرات حتى تحفظه حفظًا لا تنساه وثانيها: أنا نشرح صدرك ونقوي خاطرك حتى تحفظ بالمرة الواحدة حفظًا لا تنساه وثالثها: أنه تعالى لما أمره في أول السورة بالتسبيح فكأنه تعالى قال: واظب على ذلك ودم عليه فإنا سنقرئك القرآن الجامع لعلوم الأولين والآخرين ويكون فيه ذكرك وذكر قومك ونجمعه في قلبك، ونيسرك لليسرى وهو العمل به.

المسألة الثانية: هذه الآية تدل على المعجزة من وجهين الأول: أنه كان رجلًا أميًا فحفظه لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولا تكرار ولا كتبة، خارق للعادة فيكون معجزًا الثاني: أن هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة، فهذا إخبار عن أمر عجيب غريب مخالف للعادة سيقع في المستقبل وقد وقع فكان هذا إخبارًا عن الغيب فيكون معجزًا، أما قوله: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ فقال بعضهم: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ معناه النهي، والألف مزيدة للفاصلة، كقوله: ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾[الأحزاب: ٦٧] يعني فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه إلا ما شاء الله أن ينسيكه، والقول المشهور أن هذا خبر والمعنى سنقرئك إلى أن تصير بحيث لا تنسى وتأمن النسيان، كقولك سأكسوك فلا تعرى أي فتأمن العرى، واحتج أصحاب هذا القول على ضعف القول الأول بأن ذلك القول لا يتم إلا عند التزام مجازات في هذه الآية منها أن النسيان لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فلا يصح ورود الأمر والنهي به، فلا بد وأن يحمل ذلك على المواظبة على الأشياء التي تنافي النسيان مثل الدراسة وكثرة التذكر. وكل ذلك عدول عن ظاهر اللفظ. ومنها أن تجعل الألف مزيدة للفاصلة وهو أيضًا خلاف الأصل ومنها أنا إذا جعلناه خبرًا كان معنى الآية بشارة الله إياه بأني أجعلك بحيث لا تنساه، وإذا جعلناه نهيًا كان معناه أن الله أمره بأن يواظب على الأسباب المانعة من النسيان وهي الدراسة والقراءة، وهذا ليس في البشارة وتعظيم حاله مثل الأول، ولأنه على خلاف قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[القيامة: ١٦].

أما قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ ففيه احتمالان أحدهما: أن يقال: هذا الاستثناء غير حاصل في الحقيقة وأنه عليه السلام لم ينس بعد ذلك شيئًا، قال الكلبي: إنه عليه السلام لم ينس بعد نزول هذه الآية شيئًا، وعلى هذا التقدير يكون الغرض من قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أحد أمور أحدها: التبرك بذكر هذه الكلمة على ما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤] وكأنه تعالى يقول: أنا مع أني عالم بجميع المعلومات وعالم بعواقب الأمور على التفصيل لا أخبر عن وقوع شيء في المستقبل إلا مع هذه الكلمة فأنت وأمتك يا محمد أولى بها وثانيها: قال الفراء: إنه تعالى ما شاء أن ينسى محمد عليه السلام شيئًا، إلا أن المقصود من ذكر هذا الاستثناء بيان أنه تعالى لو أراد أن يصير ناسيًا لذلك لقدر عليه، كما قال: ﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الإسراء: ٨٦] ثم إنا نقطع بأنه تعالى ما شاء ذلك وقال لمحمد عليه السلام: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] مع أنه عليه الصلاة والسلام ما أشرك ألبتة، وبالجملة ففائدة هذا الاستثناء أن الله تعالى يعرفه قدرة ربه حتى يعلم أن عدم النسيان من فضل الله وإحسانه لا من قوته وثالثها: أنه تعالى لما ذكر هذا الاستثناء جوز رسول الله ﷺ في كل ما ينزل عليه من الوحي قليلاً كان أو كثيرًا أن يكون ذلك هو المستثنى، فلا جرم كان يبالغ في التثبت والتحفظ والتيقظ في جميع المواضع، فكان المقصود من ذكر هذا الاستثناء بقاءه عليه السلام على التيقظ، في جميع الأحوال ورابعها: أن يكون الغرض من قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ نفي النسيان رأسًا، كما يقول الرجل لصاحبه: أنت سهيمي فيما أملك إلا فيما شاء (الله)، ولا يقصد استثناء شيء. القول الثاني: أن قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ استثناء في الحقيقة، وعلى هذا التقدير تحتمل الآية وجوهًا أحدها: قال الزجاج: إلا ما شاء الله أن ينسى، فإنه ينسى ثم يتذكر بعد ذلك، فإذًا قد ينسى ولكنه يتذكر فلا ينسى نسيانًا كليًا دائمًا، روى أنه أسقط آية في قراءته في الصلاة، فحسب أبي أنها نسخت، فسأله فقال: نسيتها.

وثانيها: قال مقاتل: إلا ما شاء الله أن ينسيه، ويكون المراد من الإنساء ههنا نَسْخُهُ، كما قال: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦] فيكون المعنى إلا ما شاء الله أن تنساه على الأوقات كلها، فيأمرك أن لا تقرأه ولا تصلي به، فيصير ذلك سببًا لنسيانه، وزواله عن الصدور. وثالثها: أن يكون معنى قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ القلة والندرة، ويشترط أن لا يكون ذلك القليل من واجبات الشرع، بل من الآداب والسنن، فإنه لو نسي شيئًا من الواجبات ولم يتذكره أدى ذلك إلى الخلل في الشرع، وإنه غير جائز.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ ففيه وجهان أحدهما: أن المعنى أنه سبحانه عالم بجهرك في القراءة مع قراءة جبريل عليه السلام، وعالم بالسر الذي في قلبك وهو أنك تخاف النسيان، فلا تخف فأنا أكفيك ما تخافه والثاني: أن يكون المعنى: فلا تنسى إلا ما شاء الله أن ينسخ، فإنه أعلم بمصالح العبيد، فينسخ حيث يعلم أن المصلحة في النسخ.

قوله تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾

ففيه مسائل:

المسألة الأولى: اليسرى هي أعمال الخير التي تؤدي إلى اليسر، إذا عرفت هذا فنقول: للمفسرين فيه وجوه: أحدها: أن قوله: ﴿وَنُيَسِّرُكَ﴾ معطوف على ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ اعتراض، والتقدير: سنقرؤك فلا تنسى، ونوفقك للطريقة التي هي أسهل وأيسر، يعني في حفظ القرآن وثانيها: قال ابن مسعود: اليسرى الجنة، والمعنى نيسرك للعمل المؤدي إليها وثالثها: نهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعلمه وتعمل به ورابعها: نوفقك للشريعة وهي الحنيفية السهلة السمحة، والوجه الأول أقرب.

المسألة الثانية: لسائل أن يسأل فيقول العبارة المعتادة أن يقال: جعل الفعل الفلاني ميسرًا لفلان، ولا يقال: جعل فلان ميسرًا للفعل الفلاني فما الفائدة فيه؟ ههنا الجواب: أن هذه العبارة كما أنها اختيار القرآن في هذا الموضع، وفي سورة الليل أيضًا، فكذا هي اختيار الرسول في قوله عليه السلام: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»(١) وفيه لطيفة علمية، وذلك لأن ذلك الفعل في نفسه ماهية ممكنة قابلة للوجود والعدم على السوية، فما دام القادر يبقى بالنسبة إلى فعلها وتركها على السوية امتنع صدور الفعل عنه، فإذا نرجح جانب الفاعلية على جانب التاركية، فحينئذ يحصل الفعل، فثبت أن الفعل ما لم يجب لم يوجد، وذلك الرجحان هو المسمى بالتيسير، فثبت أن الأمر بالتحقيق هو أن الفاعل يصير ميسرًا للفعل، لا أن الفعل يصير ميسرًا للفاعل، فسبحان من له تحت كل كلمة حكمة خفية وسر عجيب يبهر العقول.

المسألة الثالثة: إنما قال: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ بنون التعظيم لتكون عظمة المعطى دالة على عظمة العطاء، نظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [يوسف: ٢] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩] ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] دلت هذه الآية على أنه سبحانه فتح عليه من أبواب التيسير والتسهيل ما لم يفتحه على أحد غيره، وكيف لا وقد كان صبيًا لا أب له ولا أم له نشأ في قوم جهال، ثم إنه تعالى جعله في أفعاله وأقواله قدوة للعالمين، وهديًا للخلق أجمعين.

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾

فاعلم أنه تعالى لما تكمل بتيسير جميع مصالح الدنيا والآخرة أمر بدعوة الخلق إلى الحق، لأن كمال حال الإنسان في أن يتخلق بأخلاق الله سبحانه تامًا وفوق التمام، فلما صار محمد

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب (القدر) باب (جف القلم على علم الله) (١١/ ٤٩٩) حديث رقم (٦٥٩٦) ومسلم في كتاب (القدر) باب (كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه) (٤/ ٩/ ٢٠٤١) كلاهما من طريق يزيد الدشك... به.

عليه الصلاة والسلام تامًا بمقتضى قوله: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٨] أمر بأن يجعل نفسه فوق التمام بمقتضى قوله: ﴿فَذَكِّرْ﴾ لأن التذكير يقتضي تكميل الناقصين وهداية الجاهلين، ومن كان كذلك كان فياضًا للكمال، فكان تامًا وفوق التمام، وههنا سؤالات:

السؤال الأول: أنه عليه السلام كان مبعوثًا إلى الكل فيجب عليه أن يذكرهم سواء نفعتهم الذكرى أو لم تنفعهم، فما المراد من تعليقه على الشرط في قوله: ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾؟ الجواب: أن المعلق بأن على الشيء لا يلزم أن يكون عدمًا عند عدم ذلك الشيء، ويدل عليه آيات منها هذه الآية ومنها قوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣] ومنها قوله: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢] ومنها قوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾ [النساء: ١٠١] فإن القصر جائز وإن لم يوجد الخوف، ومنها قوله: ﴿وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣] والرهن جائز مع الكتابة، ومنها قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠] والمراجعة جائزة بدون هذا الظن، إذا عرفت هذا فنقول ذكروا لذكر هذا الشرط فوائد إحداها: أن من باشر فعلاً لغرض فلا شك أن الصورة التي علم فيها إفضاء تلك الوسيلة إلى ذلك الغرض، كان إلى ذلك الفعل أوجب من الصورة التي علم فيها عدم ذلك الإفضاء، فلذلك قال: ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ وثانيها: أنه تعالى ذكر أشرف الحالتين، ونبه على الأخرى كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] والتقدير: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أو لم تنفع وثالثها: أن المراد منه البعث على الانتفاع بالذكرى، كما يقول المرء لغيره إذا بين له الحق: قد أوضحت لك إن كنت تعقل فيكون مراده البعث على القبول والانتفاع به ورابعها: أن هذا يجري مجرى تنبيه الرسول ﷺ أنه لا تنفعهم الذكرى كما يقال للرجل: ادع فلانًا إن أجابك، والمعنى وما أراه يجيبك وخامسها: أنه عليه السلام دعاهم إلى الله كثيرًا، وكلما كانت دعوته أكثر كان عتوهم أكثر، وكان عليه السلام يحترق حسرة على ذلك فقيل له: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥] إذ التذكير العام واجب في أول الأمر فأما التكرير فلعله إنما يجب عند رجاء حصول المقصود فلهذا المعنى قيده بهذا الشرط.

السؤال الثاني: التعليق بالشرط إنما يحسن في حق من يكون جاهلاً بالعواقب، أما علام الغيوم فكيف يليق به ذلك؟ الجواب: روي في الكتب أنه تعالى كان يقول لموسى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] وأنا أشهد أنه لا يتذكر ولا يخشى. فأمر الدعوة والبعثة شيء وعلمه تعالى بالمغيبات وعواقب الأمور غير ولا يمكن بناء أحدهما على الآخر.

السؤال الثالث: التذكير المأمور به هل مضبوط مثل أن يذكرهم عشرات مرات، أو غير مضبوط، وحينئذ كيف يكون الخروج عن عهدة التكليف؟ والجواب: أن الضابط فيه هو العرف، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾

ففيه مسائل:

المسألة الأولى: اعلم أن الناس في أمر المعاد على ثلاثة أقسام منهم من قطع بصحته، ومنهم من جوز وجوده ولكنه غير قاطع فيه لا بالنفي ولا بالإثبات، ومنهم من أصر على إنكاره وقطع بأنه لا يكون فالقسمان الأولان تكون الخشية حاصلة لهما، وأما القسم الثالث فلا خشية له ولا خوف إذا عرفت ذلك ظهر أن الآية تحتمل تفسيرين: أحدهما: أن يقال: الذي يخشى هو الذي يكون عارفًا بالله وعارفًا بكمال قدرته وعلمه وحكمته، وذلك يقتضي كونه قاطعًا بصحة المعاد ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] فكأنه تعالى لما قال: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ بين في هذه الآية أن الذي تنفعه الذكرى من هو، ولما كان الانتفاع بالذكرى مبنيًا على حصول الخشية في القلب، وصفات القلوب مما لا اطلاع لأحد عليها إلا الله سبحانه وجب على الرسول تعميم الدعوة تحصيلاً للمقصود، فإن المقصود تذكير من ينتفع بالتذكير، ولا سبيل إليه إلا بتعميم التذكير. الثاني: أن يقال: إن الخشية حاصلة للعاملين وللمتوقفين غير المعاندين وأكثر الخلق متوقفون غير معاندين والمعاند فيهم قليل، فإذا ضم إلى المتوقفين الذين لهم الغلبة العارفون كانت الغلبة العظيمة لغير المعاندين، ثم إن كثيرًا من المعاندين، إنما يعاندون باللسان، فأما المعاند في قلبه بينه وبين نفسه فذلك مما لا يكون أو إن كان فهو في غاية الندرة والقلة، ثم إن الإنسان إذا سمع التخويف بأنه يصلى النار الكبرى وأنه لا يموت فيها ولا يحيى انكسر قلبه فلا بد وأن يستمع وينتفع أغلب الخلق في أغلب الأحوال، وأما ذلك المعرض فنادر، وترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير، فمن هذا الوجه كان قوله: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ يوجب تعميم التذكير.

المسألة الثالثة: السين في قوله: ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ يحتمل أن تكون بمعنى سوف يذكر وسوف من الله واجب كقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦] ويحتمل أن يكون المعنى أن من خشي الله فإنه يتذكر وإن كان بعد حين بما يستعمله من التدبر والنظر فهو بعد طول المدة يذكر، والله أعلم.

المسألة الرابعة: العلم إنما يسمى تذكرًا إذا كان قد حصل العلم أولاً ثم نسيه وهذه الحالة غير حاصلة للكفار فكيف سمى الله تعالى ذلك بالتذكر؟ وجوابه: أن لقوة الدلائل وظهورها كأن ذلك العلم كان حاصلاً، ثم إنه زال بسبب التقليد والعناد. فلهذا أسماه الله تعالى بالتذكر.

المسألة الخامسة: قيل: نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان، وقيل: نزلت في ابن أم مكتوم.

أما قوله تعالى:

قوله تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝١٢﴾

فاعلم أنا بينا أن أقسام الخلق ثلاثة العارفون والمتوقفون والمعاندون، وبينا أن القسمين الأولين، لا بد وأن يكون لهما خوف وخشية، وصاحب الخشية لا بد وأن يستمع إلى الدعوة وينتفع بها، فيكون الأشقى هو المعاند الذي لا يستمع إلى الدعوة ولا ينتفع بها، فلهذا قال تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝١٢﴾، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: ذكروا في تفسير ﴿ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ وجوهًا أحدها: قال الحسن: الكبرى نار جهنم، والصغرى نار الدنيا وثانيها: أن في الآخرة نيرانًا ودركات متفاضلة كما أن في الدنيا ذنوبًا ومعاصي متفاضلة، وكما أن الكافر أشقى العصاة كذلك يصلى أعظم النيران وثالثها: أن النار الكبرى هي النار السفلى، وهي تصيب الكفار على ما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

المسألة الثانية: قالوا: نزلت هذه الآية في الوليد وعتبة وأبي، وأنت تعلم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لا سيما وقد بينا صحة هذا الترتيب بالبرهان العقلي.

المسألة الثالثة: لقائل أن يقول: إن الله تعالى ذكر ههنا قسمين أحدهما: الذي يذكر ويخشى والثاني: الأشقى الذي يصلى النار الكبرى، لكن وجود الأشقى يستدعي وجود الشقي فكيف حال هذا القسم؟ وجوابه: أن لفظة الأشقى لا تقتضي وجود الشقي إذ قد يجري مثل هذا اللفظ من غير مشاركة، كقوله تعالى: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾ [الفرقان: ٢٤] وقيل: المعنى، ويتجنبها الشقي الذي يصلى كما في قوله: ﴿وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ [الروم: ٢٧] أي هين عليه، ومثل قول القائل:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا ... بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ(١)

هذا ما قيل لكن التحقيق ما ذكرنا أن الفرق الثلاثة، العارف والمتوقف والمعاند فالسعيد هو العارف، والمتوقف له بعض الشقاء والأشقى هو المعاند الذي بينا أنه هو الذي لا يلتفت إلى الدعوة ولا يصغى إليها ويتجنبها.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ۝١٣ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾

أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾، ففيه مسألتان:

المسألة الأولى: للمفسرين فيه وجهان: أحدهما: لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة تنفعه، كما قال: ﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ﴾ [فاطر: ٣٦] وهذا على مذهب العرب تقول للمبتلى بالبلاء الشديد لا هو حي ولا هو ميت وثانيهما: معناه أن نفس أحدهم في النار

(١) هذا البيت قائله الفرزدق وتقدمت ترجمته.

تصير في حلقه فلا تخرج فيموت، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا.

المسألة الثانية: إنما قيل: ﴿ثُمَّ﴾ لأن هذه الحالة أفظع وأعظم من الصلى فهو متراخ عنه في مراتب الشدة. أما قوله تعالى:

أما قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ ففيه وجهان:

أحدهما: أنه تعالى لما ذكر وعيد من أعرض عن النظر والتأمل في دلائل الله تعالى، أتبعه بالوعد لمن تزكى ويطهر من دنس الشرك. **وثانيهما:** وهو قول الزجاج: تكثر من التقوى لأن معنى الزاكي النامي الكثير، وهذا الوجه معتضد بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢] أثبت الفلاح للمستجمعين لتلك الخصال وكذلك قوله تعالى في أول البقرة: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥] وأما الوجه الأول فإنه معتضد بوجهين: الأول: أنه تعالى لما لم يذكر في الآية ما يجب التزكي عنه علمنا أن المراد هو التزكي عما مر ذكره قبل الآية، وذلك هو الكفر، فعلمنا أن المراد ههنا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ عن الكفر الذي مر ذكره قبل هذه الآية والثاني: أن الاسم المطلق ينصرف إلى المسمى الكامل، وأكمل أنواع التزكية هو تزكية القلب عن ظلمة الكفر فوجب صرف هذا المطلق إليه، ويتأكد هذا التأويل بما روي عن ابن عباس أنه قال معنى: ﴿تَزَكَّىٰ﴾ قول: لا إله إلا الله.

قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾

أما قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ ففيه مسائل:

المسألة الأولى: ذكر المفسرون فيه وجوهًا. أحدها: قال ابن عباس: ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له. وأقول: هذا التفسير متعين وذلك لأن مراتب أعمال المكلف ثلاثة أولها: إزالة العقائد الفاسدة عن القلب وثانيها: استحضار معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وأسمائه وثالثها: الاشتغال بخدمته.

فالمرتبة الأولى: هي المراد بالتزكية في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤]. **وثانيها:** هي المراد بقوله: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ فإن الذكر بالقلب ليس إلا المعرفة. **وثالثها:** الخدمة وهي المراد بقوله: ﴿فَصَلَّىٰ﴾ فإن الصلاة عبارة عن التواضع والخشوع فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله تعالى وكبريائه، لا بد وأن يظهر في جوارحه وأعضائه أثر الخضوع والخشوع. **وثانيها:** قال قوم من المفسرين قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤] يعني من تصدق قبل مروره إلى العيد: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ يعني ثم صلى صلاة العيد بعد ذلك مع الإمام. وهذا قول عكرمة وأبي العالية وابن سيرين وابن عمر وروي ذلك مرفوعًا إلى النبي ﷺ، وهذا التفسير فيه إشكال من وجهين الأول: أن عادة الله تعالى في القرآن تقديم ذكر الصلاة على ذكر الزكاة لا تقديم الزكاة على الصلاة والثاني: قال الثعلبي: هذه السورة مكية بالإجماع ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر. أجاب

الواحدي عنه بأنه لا يمتنع أن يقال: لما كان في معلوم الله تعالى أن ذلك سيكون أثنى على من فعل ذلك وثالثها: قال مقاتل: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤] أي تصدق من ماله وذكر ربه بالتوحيد في الصلاة فصلى له، والفرق بين هذا الوجه وما قبله أن هذا يتناول الزكاة والصلاة المفروضتين، والوجه الأول ليس كذلك ورابعها: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤] ليس المراد منه زكاة المال بل زكاة الأعمال أي من تطهر في أعماله من الرياء والتقصير، لأن اللفظ المعتاد أن يقال: في المال زكى ولا يقال تزكى قال تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦ﴾ [فاطر: ١٨]، وخامسها: قال ابن عباس: ﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ﴾ أي كبر في خروجه إلى العيد وصلى صلاة العيد وسادسها: المعنى وذكر اسم ربه في صلاته ولا تكون صلاته كصلاة المنافقين حيث يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً.

المسألة الثانية: الفقهاء احتجوا بهذه الآية على وجوب تكبيرة الافتتاح، واحتج أبو حنيفة رحمه الله بها على أن تكبيرة الافتتاح ليست من الصلاة، قال: لأن الصلاة معطوفة عليها والعطف يستدعي المغايرة، واحتج أيضًا بهذه الآية على أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه وأجاب أصحابنا بأن تقدير الآية، وصلى فذكر اسم ربه ولا فرق بين أن تقول أكرمتني فزرتني وبين أن تقول زرتني فأكرمتني، ولأبي حنيفة أن يقول: ترك العمل بفاء التعقيب لا يجوز من غير دليل والأولى في الجواب أن يقال: الآية تدل على مدح كل من ذكر اسم الله فصلى عقيبه وليس في الآية بيان أن ذلك الذكر هو تكبيرة الافتتاح. فلعل المراد به أن من ذكر الله بقلبه وذكر ثوابه وعقابه دعاه ذلك إلى فعل الصلاة، فحينئذ يأتي بالصلاة التي أحد أجزائها التكبير، وحينئذ يندفع الاستدلال. ثم قال تعالى:

قوله تعالى: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨﴾

وفيه قراءتان: قراءة العامة بالتاء ويؤكده حرف أبي، أي بل أنتم تؤثرون عمل الدنيا على عمل الآخرة. قال ابن مسعود: إن الدنيا أحضرت، وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها، وإن الآخرة لغيب لنا وزويت عنا، فأخذنا بالعاجل وتركنا الآجل. وقرأ أبو عمرو: يؤثرون بالياء يعني الأشقى. ثم قال تعالى:

ثم قال تعالى: ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ وتمامه أن كل ما كان خيرًا وأبقى فهو آثر، فيلزم أن تكون الآخرة آثر من الدنيا وهم كانوا يؤثرون الدنيا، وإنما قلنا: إن الآخرة خير لوجوه أحدها: أن الآخرة مشتملة على السعادة الجسمانية والروحانية، والدنيا ليست كذلك، فالآخرة خير من الدنيا وثانيها: أن الدنيا لذاتها مخلوطة بالآلام، والآخرة ليست كذلك وثالثها: أن الدنيا فانية، والآخرة باقية، والباقي خير من الفاني. ثم قال:

ثم قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ واختلفوا في المشار إليه بلفظ (هذا) منهم من قال: جميع السورة، وذلك لأن السورة مشتملة على التوحيد والنبوة والوعيد على الكفر بالله، والوعد على طاعة الله تعالى.

ومنهم من قال: بل المشار إليه بهذه الإشارة هو من قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤] إشارة إلى تطهير النفس عن كل ما لا ينبغي. أما القوة النظرية فعن جميع العقائد الفاسدة، وأما في القوة العملية فعن جميع الأخلاق الذمية.

وأما قوله: ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ [الأعلى: ١٥] فهو إشارة إلى تكميل الروح بمعرفة الله تعالى، وأما قوله: ﴿فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٥] فهو إشارة إلى تكميل الجوارح وتزيينها بطاعة الله تعالى.

وأما قوله: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٦] فهو إشارة إلى الزجر عن الالتفات إلى الدنيا.

وأما قوله: ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٧] فهو إشارة إلى الترغيب في الآخرة وفي ثواب الله تعالى، وهذه أمور لا يجوز أن تختلف باختلاف الشرائع، فلهذا السبب قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ وهذا الوجه كما تأكد بالعقل فالخبر يدل عليه، روى عن أبي ذر أنه قال: قلت هل في الدنيا مما في صحف إبراهيم وموسى؟ فقال: اقرأ يا أبا ذر ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤] وقال آخرون: إن قوله (هذا) إشارة إلى قوله: ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ وذلك لأن الإشارة راجعة إلى أقرب المذكورات وذلك هو هذه الآية، وأما قوله: ﴿لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ فهو نظير لقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦] وقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣].

قوله تعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾

فيه قولان: أحدهما: أنه بيان لقوله: ﴿لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨] والثاني: أن المراد أنه مذكور في صحف جميع الأنبياء التي منها صحف إبراهيم وموسى، روي عن أبي ذر أنه سأل رسول الله ﷺ كم أنزل الله من كتاب؟ فقال: «مِائَةٌ وَأَرْبَعَةُ كُتُبٍ، عَلَى آدَمَ عَشْرَ صُحُفٍ وَعَلَى شِيثٍ خَمْسِينَ صَحِيفَةً وَعَلَى إِدْرِيسَ ثَلَاثِينَ صَحِيفَةً وَعَلَى إِبْرَاهِيمَ عَشْرَ صَحَائِفَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْفُرْقَانَ» (١) وقيل: إن في صحف إبراهيم: ينبغي للعاقل أن يكون حافظًا للسانه عارفًا بزمانه مقبلاً على شأنه، والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) رواه الأجرى في (الأربعين) (١/ ٤٥) حديث رقم (٤٤) من طريق إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني حدثني أبي حدثني جدي عن إدريس الخولاني عن أبي ذر... به والطبري في (تاريخ الرسل والملوك) (١/ ٥٥) من طريق أبي سليمان عن القاسم بن محمد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر... به وقال الزيلعي في (تخريج أحاديث الكشاف) (٤/ ١٩٦) وقال: رواه الحاكم في المستدرك في الفضائل من حديث عبيد بن عبير عن أبي ذر فذكره وسكت عنه وكذلك رواه الطبراني في معجمه والبيهقي في أول شعب الإيمان وأبو نعيم الحافظ في الحلية في ترجمة أبي ذر كلهم بلفظ ابن حبان سواء وكأن الوهم من المصنف في قوله على آدم عشر صحف.

سورة «الأعلى»

مَكِّيةٌ في قولِ الجمهورِ، وقال الضحَّاكُ: مَدَنِيَّةٌ[1]. وهي تسعَ عَشْرةَ آيةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١﴾

يُستحبُّ للقارئ إذا قرأ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ أن يقول عَقِبَه: سبحانَ ربِّي الأَعْلَى؛ قاله النبيُّ ﷺ، وقاله جماعةٌ من الصحابة والتابعين، على ما يأتي.

وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جدِّه قال: إنَّ لله تعالى مَلَكاً يقال له: حزقيائيل، له ثمانيةَ عَشَرَ ألفَ جَناحٍ، ما بين الجناحِ إلى الجناحِ مَسيرةُ خمسِ مئةِ عام، فخطَر له خاطِرٌ: هل تَقْدِرُ أن تُبْصِر العرشَ جميعَه؟ فزادَه الله أجنحةً مِثْلَها، فكان له ستةٌ وثلاثون ألفَ جناحٍ، ما بين الجناحِ إلى الجناح خمسُ مئةِ عامٍ. ثم أَوْحَى الله إليه: أيُّها المَلَك، أَنْ طِرْ، فطار مقدارَ عشرين ألفَ سنةٍ، فلم يبلغ قائمة[2] من قوائم العرش. ثم ضاعف الله في الأجنحةِ والقوةِ، وأَمَره أن يطير، فطار مقدارَ ثلاثين ألفَ سنةٍ أخرى، فلم يَصِلْ أيضاً، فأَوْحَى الله إليه: أيُّها المَلَك، لو طِرْتَ إلى نفخِ الصورِ مع أَجْنِحَتِك وقوتك لم تبلغ ساقَ عرشي. فقال المَلَك: سبحانَ ربِّي الأعلى؛ فأنزل الله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، فقال النبيُّ ﷺ: «اجْعَلوها في سُجودكم». ذكره الثعلبيّ في «كتاب العرائس» له[3]. وقال ابن عباس والسُّديُّ: معنى ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ أي: عَظِّمْ ربَّك الأعلى. والاسمُ صِلةٌ قُصِد بها تعظيمُ المسمَّى؛ كما قال لَبِيد:

---

(١) حكاه عنه النقاش، كما في المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٨، قال ابن عطية: وهو ضعيف، وإنما دعا إليه قولُ مَن قال: إنَّ ذكر صلاة العيد فيها.

(٢) في (م): رأس قائمة.

(٣) ص١٦.

إلى الحَوْلِ ثم اسمُ السلامِ عليكما[١]

وقيل: نَزِّه ربَّك عن السوء، وعمَّا يقولُ فيه المُلْحِدون.

وذكر الطبريّ أنَّ المعنى: نزِّه اسمَ ربِّك عن أن يسمَّى به أحدٌ سواه[٢].

وقيل: نَزِّهْ تَسْميةَ ربِّك وذِكْرَكَ إياه، أن تَذْكُره إلَّا وأنت خاشعٌ مُعَظِّمٌ، ولذِكْرِه محترِمٌ. وجعلوا الاسمَ بمعنى التَّسْميةِ[٣]، والأَوْلَى أن يكون الاسمُ هو المسَمَّى. روى نافع عن ابن عمر قال: لا تَقُلْ على اسمِ الله؛ فإنَّ اسمَ الله هو الأعلى[٤].

وروى أبو صالح عن ابن عباس: صَلِّ بأمر ربِّك الأعلى[٥]. قال: وهو أن تقولَ: سبحان ربِّي الأعلى. وروي عن عليٍّ ﷺ وابنِ عباس وابنِ عمر وابنِ الزبير وأبي موسى وعبد الله بن مسعود ﷺ: أنَّهم كانوا إذا افْتَتَحوا قراءةَ هذه السورةِ قالوا: سبحان ربِّيَ الأعلى[٦]؛ امتثالاً لأمره في ابتدائها. فيُختارُ الاقتداءُ بهم في قراءتهم، لا أنَّ سبحان ربِّي الأعلى من القرآن؛ كما قال بعضُ أهلِ الزَّيغ.

وقيل: إنَّها في قراءةِ أُبيٍّ: «سبحان ربِّي الأعلى». وكان ابنُ عمر يقرؤها كذلك[٧].

وفي الحديث كان رسولُ الله إذا قرأها قال: «سبحان ربِّيَ الأعلى». قال أبو بكر

---

(١) وعجزه: ومَن يَبْكِ حولاً كاملاً فقد اعتذرْ، وهو في ديوان لبيد ص٧٩، وسلف ١/ ١٥٣، والكلام من النكت والعيون ٦/ ٢٥١.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٥١، وينظر تفسير الطبري ٢٤/ ٣١١.

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٣١٠-٣١١، وتفسير البغوي ٤/ ٤٧٥.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٣/ ٣٨٤-٣٨٥.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٤٧٥، وذكره أبو الليث ٣/ ٤٦٩ عن الكلبي.

(٦) أخرج هذه الآثار ابن أبي شيبة ٢/ ٥٠٨ -٥٠٩، والطبري ٢٤/ ٣٠٩-٣١٠.

(٧) النكت والعيون ٦/ ٢٥٢، وأخرج الطبري ٢٤/ ٣٠٩ من طريق سعيد بن جبير عن ابن عمر أنه كان يقرأ: «سبح اسم ربك الأعلى سبحان ربي الأعلى الذي خلق فسوى». قال: وهي في قراءة أبي بن كعب كذلك.

الأنباريُّ: حدَّثني محمد بنُ شَهْريار، قال: حدَّثنا حسين بن الأسود، قال: حدَّثنا عبد الرحمن بن أبي حَمَّاد قال: حدَّثنا عيسى بن عمر، عن أبيه، قال: قرأ عليّ بن أبي طالب ﷺ في الصلاة: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، فقال: سبحان ربِّي الأعلى، فلمَّا انقضت الصلاةُ قيل له: يا أمير المؤمنين، أتزيدُ هذا في القرآن؟ قال: ما هو؟ قالوا: سبحان ربِّي الأعلى. قال: لا، إنَّما أُمِرنا بشيءٍ فقُلْتُه[1].

وعن عقبةَ بن عامر الجُهَنيِّ قال: لمَّا نزلت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال رسول الله ﷺ: «اجْعَلوها في سجودكم»[2].

وهذا كلُّه يدلُّ على أنَّ الاسم هو المسمَّى؛ لأنهم لم يقولوا: سبحان اسمِ ربِّي الأعلى.

وقيل: إنَّ أوّلَ مَن قال: سبحان ربي الأعلى، ميكائيلُ عليه السلام. وقال النبيُّ ﷺ لجبريل: «يا جبريلُ، أَخْبِرْني بثوابِ مَن قال: سبحان ربِّي الأعلى، في صلاته أو في غيرِ صلاته». فقال: «يا محمدُ، ما مِن مؤمنٍ ولا مؤمنةٍ يقولهُا في سجوده أو في غير سجوده، إلَّا كانت له في ميزانه أَثْقلَ من العرش والكرسيِّ وجبالِ الدنيا، ويقول الله تعالى: صَدَقَ عبدي، أنا فوقَ كلِّ شيءٍ، وليس فوقي شيءٌ، اشْهَدوا يا ملائكتي أنِّي قد غَفَرْتُ له، وأَدْخَلْته الجنةَ. فإذا مات زاره مِيكائيلُ كلَّ يومٍ، فإذا كان يومُ القيامةِ حَمَلَه على جناحه، فأَوْقَفه بين يدي الله تعالى، فيقول: ياربِّ، شَفِّعني فيه، فيقول: قد شَفَّعْتُك فيه، فاذهَبْ به إلى الجنة»[3].

وقال الحسن: «سبِّحِ اسمَ ربِّك الأعلى» أي: صلِّ لربِّك الأعلى. وقيل: أي:

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٣٨ وعزاه لابن الأنباري في المصاحف وللفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤١٤)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، وسلف عند تفسير الآية (٩٦) من سورة الواقعة.

(٣) أخرجه القزويني في التدوين في أخبار قزوين ٣/ ٢٥٧-٢٥٨ دون قوله: فإذا كان يوم القيامة حمله على جناحه... ، وفي إسناده محمد بن الحسن النقاش المفسر، قال عنه البرقاني: كل حديث النقاش منكر. الميزان ٣/ ٥٢٠ .

صلِّ بأسماء الله، لا كما يصلِّي المشركون بالمُكَاءِ والتَّصْدِية.

وقيل: ارْفعْ صوتك بذِكْرِ ربّك. قال جرير:

قَبَحَ الإلهُ وُجوهَ تَغْلِبَ كلَّما سَبَحَ الحجيجُ وكَبَّروا تَكْبيرا[1]

قوله تعالى: ﴿الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَالَّذِىٓ أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ قد تقدَّم معنى التَّسْويةِ في «الانفطار» وغيرِها[2].

أي: سوَّى ماخلَق، فلم يكن في خَلْقِه تَثْبيج[3]. وقال الزجَّاج: أي: [خَلَقَ الإنسانَ سَوِيًّا. ومعنى «سوَّى»] عدَّل قامَتَه[4]. وعن ابن عباس: حَسَّنَ ما خَلَق.

وقال الضحَّاك: خَلَقَ آدمَ فسوَّى خَلْقَه. وقيل: خَلَقَ في أصلاب الآباءِ، وسوَّى في أرحام الأمَّهات. وقيل: خَلَقَ الأجساد، فسوَّى الأفهام[5]. وقيل: أي: خَلَق الإنسانَ وهيَّأه للتكليف.

﴿وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ قرأ عليٌّ ﷺ والسُّلَميُّ والكسائيُّ: «قَدَر» مخفَّفةَ الدَّالِ، وشدَّد الباقون[6]. وهما بمعنًى واحدٍ. أي: قدر ووفَّق لكلِّ شَكْلٍ[7] شَكْلَه، «فَهَدَى» أي:

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٢٥١، والتاج (سبح). وهو في ديوان جرير ١/ ٥٢ برواية:

قبح الإله وجوه تغلب كلما شَبَحَ الحجيج وكبروا إهلالا

قال محمد بن حبيب شارح الديوان: الشبح: رفع الأيدي بالدعاء، والإهلال: رفع الصوت.

(٢) ينظر ص١٢٣ من هذا الجزء.

(٣) أي: تخليط. اللسان (ثبج).

(٤) الوسيط ٤/ ٤٦٩، وتفسير البغوي ٤/ ٤٧٥، وما بين حاصرتين منهما. وقول الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٣١٥ دون قوله: ومعنى سوى...

(٥) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٥٢.

(٦) السبعة ص٦٨٠، والتيسير ص٢٢١، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٥٦.

(٧) في (ظ): شيء.

أَرْشَدَ. قال مجاهد: قدَّر الشقاوةَ والسعادةَ، وهَدى للرُّشدِ والضلالة. وعنه[1] قال: هَدَى الإنسانَ للسعادة والشَّقاوة، وهَدَى الأنعامَ لمراعيها.

وقيل: قدَّر أقواتَهم وأرزاقهم، وهداهم لمعاشهم إن كانوا إنساً، ولمراعيهم إنْ كانوا وَحْشاً.

وروي عن ابن عباس والسُّديِّ ومقاتلٍ والكلبيِّ في قوله: «فَهَدَى»، قالوا: عَرَّفَ خَلْقَه كيف يأتي الذَّكَرُ الأنثى، كما قال في «طه»: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [الآية: ٥٠] أي: الذَّكَرَ للأنثى.

وقال عطاء: جَعَل لكلِّ دابَّةٍ ما يُصْلِحُها، وهداها له[2].

وقيل: خَلَق المنافعَ في الأشياء، وهدى الإنسانَ لوجه استخراجِها منها.

وقيل «قَدَّر فهدَى»: قدَّر لكلِّ حيوانٍ ما يُصْلِحهُ، فهداه إليه، وعرَّفه وجهَ الانتفاعِ به. يُحكَى أنَّ الأفعى إذا أتت عليها ألفُ سنةٍ عَمِيتْ، وقد أَلْهمَها الله أنَّ مَسْحَ العينِ بورقِ الرازيانج الغضِّ يردُّ إليها بَصَرَها، فربما كانت في برِّيةٍ بينها وبين الريف مسيرةُ أيامٍ، فتَطوِي تلك المسافة على طولها وعلى عَمَاها، حتى تهجُم في بعض البساتين على شجرةِ الرازيانج لا تخطئُها، فتحكُّ بها عينها وترجع باصرةً بإذن الله تعالى[3].

وهداياتُ الإنسانِ إلى مالا يُحَدُّ من مصالحه، ومالا يُحْصَرُ من حَوائجه، في أغذيته وأدويته، وفي أبوابِ دنياه ودِينِه، وإلهاماتُ البهائمِ والطيورِ وهوامِّ الأرضِ بابٌ واسعٌ، وشَوْطٌ بَطِينٌ[4]، لا يحيطُ به وصفُ واصفٍ؛ فسبحان ربِّي الأعلى.

وقال السُّدِّيُّ: قدّر مدَّةَ الجنينِ في الرَّحِم تسعةَ أشهرٍ، وأقلَّ وأكثرَ، ثم هداه

---

(١) بعدها في (ظ): أيضاً.

(٢) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ١٦/ ٧٩-٨٠ و٢٤/ ٣١١-٣١٢، والنكت والعيون ٦/ ٢٥٢، وتفسير البغوي ٤/ ٤٧٥، وزاد المسير ٩/ ٨٨.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٤٣، والرازيانج: نبات يعرف اليوم بالشَّمَر. معجم متن اللغة (رزن).

(٤) أي: بعيد. القاموس (بطن)، والكلام من الكشاف ٤/ ٢٤٣.

للخروج من الرَّحِم[١].

وقال الفراء[٢]: أي: قدَّر فهدى وأضلَّ؛ فاكتفَى بذِكْرِ أحدِهما، كقوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١].

ويحتملُ أن يكون بمعنى: دعا إلى الإيمان، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ [الشورى: ٥٢] أي: لتَدْعو، وقد دعا الكلَّ إلى الإيمان.

وقيل: «فهدى»، أي: دلَّهم بأفعاله على توحيده، وكونِه عالماً قادراً.

ولا خلافَ أنَّ مَن شدَّد الدال مِن «قَدَّر» أنه مِن التقدير، كقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. ومَن خفَّف، فيحتملُ أن يكون من التقدير فيكونان بمعنى. ويحتملُ أن يكون من القُدْرة والمُلْك، أي: مَلَكَ الأشياءَ، وهَدَى مَن يشاء.

قلت: وسمعتُ بعضَ أشياخي يقول: «الذي خَلَق فسوَّى والذي قدَّر فهدَى» هو تفسيرُ العلوِّ الذي يليقُ بجلالِ الله سبحانه على جميع مخلوقاته.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ أي: النباتَ والكلأ الأخضَر. قال الشاعر:

وقد ينْبُتُ المَرْعَى على دِمَنِ الثَّرَى ... وَتبقَى حَزازاتُ النفوسِ كما هِيَا[٣]

﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ الغُثاء: ما يَقْذِفُ به السيلُ على جوانب الوادي من الحشيش والنبات والقُماش[٤]. وكذلك الغُثَّاء بالتشديد. والجمع: الأغثاء. قتادة: الغُثَاء:

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤٧٥ ، وزاد المسير ٩/ ٨٨ .

(٢) في معاني القرآن ٣/ ٢٥٦ .

(٣) البيت لزُفَر بن الحارث الكلابي، كما في مجالس ثعلب ص٣٦٧ ، والمعاني الكبير ٢/ ٨٤٨ ، وجمهرة الأمثال ١/ ١٧ ، وديوان المعاني ٢/ ٢٠٠ ، والحماسة البصرية ١/ ٢٦ . قال العسكري: معناه: أن الدِّمْنة هي الموضع الذي تبرك فيه الإبل، فتبول وتبعر فيه فلا يُنْبِتُ شيئاً، فإذا أصابته السماء وسَفَتْه الرياح أنبت، فيقول: إن ذلك الموضع قد يُنبت بعد أن لم يكن ينبت، فيتغير بالنبات، وتبقى حزازات النفوس لا تتغير.

(٤) القماش: هو ما على وجه الأرض من فتات الأشياء. القاموس (قمش).

الشيء اليابس[(١)]. ويقال للبقل والحشيش إذا تحطَّم ويَبِس: غُثاءٌ وهَشِيم. وكذلك للَّذي يكون حولَ الماء من القُماش: غثاء، كما قال:

كـأنَّ طَـمِـيَّـةَ الـمُـجَـيْـمِـرِ غُـدْوةً   مـن السَّيْلِ والأغثاء فَلْكَةُ مِغْزَلِ[(٢)]

وحكى أهلُ اللغةِ: غثا الوادي وجفأ[(٣)]. وكذلك الماء إذا علاه من الزَّبَد والقُماش مالا يُنتفَعُ به.

والأحْوى: الأسود، أي: أنَّ النبات يَضرِبُ إلى الحُوَّة من شدَّة الخضرةِ كالأسود. والحوَّةُ: السَّوَاد؛ قال الأعشى:

لَـمْـيَـاءُ فـي شَـفَـتـيـهـا حُـوَّةٌ لَـعَـسٌ   وفـي اللِّثاتِ وفـي أنيـابـهـا شَـنَـبُ[(٤)]

وفي «الصحاح»: والحوَّةُ: سُمْرةُ الشَّفةِ. يقال: رجلٌ أَحْوَى، وامرأةٌ حوَّاء، وقد حَوِيَتْ. وبعيرٌ أَحْوَى: إذا خالَطَ خضرتَه سوادٌ وصُفْرةٌ. وتصغيرُ أَحْوَى: أُحَيْوِ، في لغةِ مَن قال: أُسَيْوِد[(٥)].

ثم قيل: يجوزُ أن يكون «أَحْوَى» حالاً من «المَرْعَى»، ويكون المعنى: كأنه من

---

(١) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٦٧، والطبري ٢٤/ ٣١٣-٣١٤.

(٢) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٢٥ برواية: من السيل والغُثَّاء. ووقع في (ظ): كأن ذرى رأس المجيمر...، وهو موافق لرواية البيت في شرح المعلقات للنحاس ١/ ٤٨، وللتبريزي ص٧٠. قال التبريزي: روى الأصمعي: كأن طمية المجيمر، والمجيمر أرض لبني فزارة، وطميةُ: جبل في بلادهم، يقول: قد امتلأ المجيمر، فكأن الجبل في الماء فلكة مغزل؛ لِمَا جمع السيلُ حوله من الغثاء. ورواه الفراء: من السيل والأغثاء، جمع الغُثَاء وهو قليل في الممدود.

(٣) في النسخ: وانجفى، والمثبت من المعاجم، وفي الصحاح (جفا): جَفَأَ الوادي جَفْأً: إذا رمى بالقذى والزَّبَد

(٤) البيت ليس للأعشى كما ذكر المصنف، وإنما هو لذي الرمة، وهو في ديوانه ١/ ٣٢. قال أبو نصر الباهلي شارح الديوان: اللَّمى: سُمْرةٌ في الشفتين، وكذلك الحُوَّة شبيهة باللمى تضرب إلى السواد، وكذلك اللَّعَس يكون بالشفتين واللثة. والشنب، قال الأصمعي: بردٌ وعذوبة في الأسنان، وغيره يقول: تمديد الأسنان ودقتها، والأول أجود.

(٥) في الصحاح (حوا).

خُضْرته يَضْرِبُ إلى السواد، والتقدير: أَخْرجَ المرعَى أَحْوَى، فجعله غُثاءً. يقال: قد حَوِيَ النَّبْتُ؛ حكاه الكسائيُّ. وقال:

وغَيثٍ من الوَسْمِيِّ حُوٌّ تِلاعُه تَبطَّنْتُه بشَيظَمٍ صَلَتانِ[١]

ويجوزُ أن يكون «أحوى» صفةً لـ «غُثاء». والمعنى: أنه صار كذلك بعد خضرته. قال أبو عبيدة[٢]: فجعله أسودَ من احتراقه وقِدَمِه؛ والرَّطْبُ إذا يَبِسَ اسْوَدَّ. وقال عبد الرحمن بن زيد: أخرج المرعى أخضرَ، ثم لمَّا يَبِسَ اسودَّ[٣]، فصار غُثاءً تذهبُ به الرياحُ والسيول[٤]. وهو مَثَلٌ ضربه الله تعالى للكفار، لذهاب الدنيا بعد نضارتها[٥].

قوله تعالى: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿سَنُقۡرِئُكَ﴾ أي: القرآنَ يا محمدُ، فنُعلِّمُكه ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ أي: فتحفظُ؛ رواه ابنُ وهبٍ عن مالك[٦]. وهذه بُشْرَى من الله تعالى؛ بشَّره بأنْ أعطاه آيةً بيِّنةً، وهي أنْ يقرأَ عليه جبريلُ ما يَقْرأُ عليه من الوحي، وهو أُميٌّ لا يَكتبُ ولا يقرأ، فيحفظُه ولا ينساه.

وعن ابن أبي نَجِيح عن مجاهد قال: كان يتذكَّر مخافةَ أنْ يَنْسى[٧]، فقيل:

---

(١) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٨٧. قوله: الوسمي، هو مطر الربيع الأول. والتلاع جمع التَّلعة، وهي مسيل الماء، أو ما اتسع من فوهة الوادي، أو القطعة المرتفعة من الأرض. والصَّلَتان: الحديد الفؤاد من الخيل. القاموس (وسم) و(تلع) و(صلت). وقال شارح الديوان: الحوَّة لون يضرب إلى السواد، يصف أن نبات التِّلاع حُوٌّ ناعم ريَّان، فخضرته تضرب إلى السواد، وقوله: تبطَّنته، أي: سلكت بطنه وسرت فيه. والشيظم: الطويل.

(٢) في مجاز القرآن ٢/ ٢٩٥.

(٣) بعدها في (م): من احتراقه.

(٤) أخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ٣١٤.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٢٥٣.

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٠٧.

(٧) أخرجه الطبري ٢٤/ ٣١٥.

كَفَيتُكَه. قال مجاهد والكلبيُّ: كان النبيُّ ﷺ إذا نزل عليه جبريلُ بالوحي، لم يَفْرَغْ جبريلُ من آخرِ الآيةِ، حتى يتكلَّم النبيُّ ﷺ بأوَّلها مخافةَ أن يَنْساها، فنزلت: «سَنُقْرِئكَ فلا تَنْسَى» بعد ذلك شيئاً[١]، فقد كَفَيْتُكَه.

ووجهُ الاستثناءِ على هذا، ما قاله الفرَّاءُ: إلَّا ما شاء الله، وهو لم يشأ أن تنسى شيئاً، كقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٨] ولا يشاءُ. ويقال في الكلام: لأُعْطينَّك كلَّ ما سألتَ إلَّا ما شئتُ، وإلَّا أنْ أشاء أنْ أمنعكَ، والنيةُ على ألَّا يمنعه شيئاً. فعلى هذا مَجارِي الأيمان؛ يُسْتثنَى فيها ونيةُ الحالفِ التمامُ[٢].

وفي روايةِ أبي صالحٍ عن ابن عباس: فلم يَنْسَ بعد نزولِ هذه الآيةِ حتى مات، إلَّا ما شاء الله. وعن سعيد عن قتادة، قال: كان رسول الله ﷺ لا ينسى شيئاً، إلَّا ما شاء الله[٣]. وعلى هذه الأقوالِ قيل: إلَّا ما شاء اللهُ أن يَنْسَى، ولكنه لم يَنْسَ شيئاً منه بعد نزول هذه الآية.

وقيل: إلَّا ما شاء الله أن يَنْسَى، ثم يَذْكُر بعد ذلك، فإذًا قد نسي، ولكنه يتذكَّر ولا ينسَى نسياناً كُلِّياً. وقد رُوِي أنه أَسْقَطَ آيةً في قراءته في الصلاة، فحسِبَ أبَيٌّ أنها نُسِخَتْ، فسأله فقال: «نُسِّيتُها»[٤].

وقيل: هو من النسيان، أي: إلَّا ما شاء الله أن يُنْسِيَكَ. ثم قيل: هذا بمعنى النسخ، أي: إلَّا ما شاء الله أن يَنْسَخَه. والإنساءُ[٥] نوعٌ من النَّسْخ. وقيل: النسيانُ بمعنى التَّرك، أي: يَعْصِمُكَ مِن أنْ تتركَ العملَ به، إلَّا ما شاء الله أن تتركه لنَسْخِه إياه. فهذا في نَسْخِ العملِ، والأوّلُ في نَسْخِ القراءة.

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤٧٦ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٥٦ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٣١٥ .

(٤) أخرجه أحمد (١٥٣٦٥)، والبخاري في القراءة خلف الإمام (١٩٣)، والنسائي في الكبرى (٨١٨٣).

(٥) في النسخ: والاستثناء، والمثبت من الوسيط ٤/ ٤٧٠ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٧٦ .

قال الفَرْغانيُّ[١]: كان يَغْشَى مجلسَ الجنيد أهلُ البَسْطِ من العلوم، وكان يغشاه ابنُ كَيْسانَ النحويُّ، وكان رجلاً جليلاً، فقال يوماً: ما تقولُ يا أبا القاسم في قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾؟ فأجابه مسرعاً ـ كأنه تقدَّم له السؤالُ قبل ذلك بأوقاتٍ ـ: لا تَنسَى العملَ به. فقال ابن كيسانَ: لا يَفْضُضِ الله فاكَ مِثْلُكَ مَن يُصْدَر عن رأيه[٢].

وقوله: «فلا»: للنفي لا للنهي. وقيل: للنهي، وإنَّما أُثبتتِ الياء لأنَّ رؤوسَ الآيِ على ذلك[٣]. والمعنى: لا تَغْفَلْ عن قراءته وتَكْرارِه فتنساه، إلَّا ما شاء الله أن يُنْسِيَكه برفع تلاوته للمصلحة[٤]. والأوّلُ هو المختار؛ لأنَّ الاستثناء من النهي لا يكاد يكون إلَّا مؤقَّتاً معلوماً. وأيضاً فإنَّ الياء مُثْبتةٌ في جميع المصاحف، وعليها القرَّاءُ.

وقيل: معناه: إلَّا ما شاء الله أن يؤخِّر إنزالَه. وقيل: المعنى: فجعله غثاءً أَحْوى إلَّا ما شاء الله أن يناله بنو آدمَ والبهائمُ، فإنَّه لا يصير كذلك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ أي: الإعلانَ من القول والعمل. ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾ من السرِّ. وعن ابن عباس: ما في قلبك ونفسك. وقال محمد بن حاتم[٥]: يعلم إعلانَ الصدقةِ وإخفاءَها. وقيل: الجهرُ ما حَفِظْتَه من القرآن في صدرك، «وما يَخْفَى» هو ما نُسِخ من صدرك[٦].

﴿وَنُيَسِّرُكَ﴾: معطوفٌ على «سنُقْرِئك»، وقولُه: «إنَّه يعلمُ الجهرَ وما يَخْفَى»

---

(١) هو أبو جعفر أحمد بن عباد، ولقبه حمدون وهو الغالب عليه، توفي سنة (٢٧٠هـ). تاريخ بغداد ٤/ ٢٧١ و٨/ ١٧٧ .

(٢) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ٧/ ٢٤٦ عن جعفر بن محمد الخلدي قال: حضرت شيخنا جنيداً، وسأله ابن كيسان... ، وذكر القصة بنحوها.

(٣) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٩ ، والكشاف ٤/ ٢٤٣ ، وتفسير الرازي ٣١/ ١٤٢ ، ويعني بالياء الألف في «تنسى»، والتي أصلها ياء.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٤٣ .

(٥) لعله محمد بن حاتم بن ميمون المروزي ثم البغدادي السمين، الحافظ المفسِّر، جمع كتاباً في تفسير القرآن، كتبه الناس عنه ببغداد. توفي سنة (٢٣٥هـ). السير ١١/ ٤٥٠ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ٢٥٣ ، وفيه: ... وما يخفى هو ما نسخ من حفظك.

اعتراضٌ. ومعنى ﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾ أي: للطَّريقة اليُسْرَى؛ وهي عملُ الخير. قال ابن عباس: نيسِّركَ لأنْ تعملَ خيراً. ابن مسعود: «لِليُسْرى» أي: للجنة. وقيل: نوفِّقُكَ للشريعة اليُسْرى؛ وهي الحنيفيةُ السَّمْحةُ السَّهْلةُ؛ قال معناه الضحَّاك. وقيل: أي: نهوِّنُ عليك الوحيَ حتى تَحْفَظَه وتعملَ به[1].

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ﴾ أي: فَعِظْ قومَكَ يا محمدُ بالقرآن. ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: الموعظةُ. وروى يونس عن الحسن قال: تذكرةٌ للمؤمن، وحجةٌ على الكافر. وكان[2] ابن عباس يقول: تنفعُ أوليائي، ولا تنفعُ أعدائي.

وقال الجُرْجانيُّ: التذكيرُ واجبٌ وإنْ لم يَنْفَعْ، والمعنى: فذكِّر إنْ نفعت الذكرى، أو لم تَنْفع، فحذف، كما قال: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١][3].

وقيل: إنه مخصوصٌ بأقوامٍ بأعيانهم. وقيل: «إنْ» بمعنى ما، أي: فذكِّر ما نَفَعتِ الذكرى، فتكون «إنْ» بمعنى ما، لا بمعنى الشَّرْطِ؛ لأنَّ الذكرى نافعةٌ بكلِّ حالٍ؛ قاله ابنُ شَجَرة.

وذكر بعضُ أهلِ العربية: أنَّ «إنْ» بمعنى إذْ، أي: إذْ نَفَعْت، كقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] أي: إذ كنتم، فلم يُخْبِرْ بعلُوِّهم إلَّا بعد إيمانهم. وقيل: بمعنى قد.

قوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠﴾

أي: مَن يَتَّقي اللهَ ويخافُه. فروى أبو صالح عن ابن عباس قال: نزلتْ في ابنِ أمِّ

(١) تنظر هذه الأقوال في النكت والعيون ٦/ ٢٥٤، وتفسير البغوي ٤/ ٤٧٦.

(٢) في (د): وقال.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٠٦، والوسيط ٤/ ٤٧٠.

مكتوم[١]. الماوَرْديُّ[٢]: وقد يذَّكَّرُ مَن يرجوه، إلَّا أنَّ تَذْكِرَةَ الخاشي أبْلَغُ من تذكرة الراجي، فلذلك علَّقها بالخشية دون الرجاء، وإنْ تَعلَّقتْ بالخشية والرجاء.

وقيل: أي: عَمِّمْ أنت التذكيرَ والوَعْظَ، وإنْ كان الوعظُ إنَّما ينفعُ مَن يَخْشَى، ولكنْ يحصلُ لك ثوابُ الدعاءِ؛ حكاه القُشيرِيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ أي: ويتجنَّبُ الذكرى ويبعدُ عنها ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ أي: الشقيُّ في علم الله. وقيل: نزلت في الوليد بنِ المغيرة وعتبةَ بنِ ربيعة[٣].

﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ أي: العُظْمَى، وهي السُّفْلى من أطباقِ النار؛ قاله الفرَّاء[٤]. وعن الحسن: الكبرى نارُ جهنم، والصغرى نارُ الدنيا. وقاله يحيى بن سلام[٥].

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ أي: لا يموتُ فيستريح من العذاب، ولا يحيا حياةً تنفعُه، كما قال الشاعر:

أَلَا مَا لنفسٍ لا تموتُ فينقضِي ... عَناها ولا تَحيا حياةً لها طَعْمُ[٦]

وقد مضى في «النساء» وغيرِها حديثُ أبي سعيد الخُدْريِّ، وأنَّ الموحِّدين من

(١) ذكره الرازي ٣١/ ١٤٦ دون نسبة.

(٢) في النكت والعيون ٦/ ٢٥٤.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٠٦.

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٢٥٦.

(٥) تفسير الرازي ٣١/ ١٤٩ عن الحسن، والنكت والعيون ٦/ ٢٥٤ عن يحيى بن سلام.

(٦) البيت لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، كما في مجالس ثعلب ص٢٣٦، والأغاني ٩/ ١٥٠، ومصارع العشاق ١/ ٣٢١، ووقع في هذه المصادر: ألا مَن لنفسي... ، والبيت برواية المصنف في اللسان (طعم).

المذنبين[١] إذا دخلوا جهنم ـ وهي النارُ الصُّغرى على قول الفرَّاء ـ احترقوا فيها وماتوا؛ إلى أن يُشفع فيهم. خرَّجه مسلم[٢].

وقيل: أهلُ الشَّقاءِ متفاوتون في شقائهم، وهذا الوعيدُ للأشقى، وإن كانَ ثَمَّ شقيٌّ لا يبلغُ هذه المرتبة.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾

فيه ثلاثُ مسائلَ:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: قد صادفَ البقاءَ في الجنة، أي: مَن تَطَهَّر من الشِّرك بالإيمان؛ قاله ابن عباس وعطاءٌ وعكرمة[٣]. وقال الحسن والربيع: مَن كان عملُه زاكياً نامِياً[٤]. وقال مَعْمر عن قتادة: «تزكَّى»، قال: بعملٍ صالح[٥].

وعنه وعن عطاءٍ وأبي العالية: نزلت في صدقة الفِطْرِ. وعن ابن سِيرينَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ قال: خرج فصلَّى بعد ما أدَّى. وقال عكرمة: كان الرجل يقول: أقدِّم زكاتي بين يَدَيْ صلاتي. فقال سفيان: قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ . وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾. وروي عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ وابنِ عمر: أنَّ ذلك في صدقة الفطر، وصلاةِ العيد[٦]. وكذلك قال أبو العالية، وقال: إنَّ أهلَ المدينةِ لا يَرَوْنَ

---

(١) في (م): المؤمنين.

(٢) في صحيحه (١٨٥)، وسلف ٦/ ٩٢ .

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٣١٩ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٧٦ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢٥٥ ، وأخرجه عن الحسن الطبري ٢٤/ ٣١٩ .

(٥) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٦٧ .

(٦) تنظر أقوالهم في الوسيط ٤/ ٤٧١-٤٧٢ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٧٦-٤٧٧ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٠٨ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٧٠ ، والدر المنثور ٦/ ٣٤٠ .

صدقةٌ أفضلَ منها، ومن سِقاية الماء[١].

وروى كَثير بن عبد الله عن أبيه، عن جدِّه، عن النبيِّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ قال: «أَخرجَ زكاةَ الفِطرِ»، ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ قال: «صلاة العيد»[٢].

وقال ابن عباس والضحاك: «وذَكَر اسمَ ربِّه» في طريقِ المُصَلَّى، «فصلَّى» صلاةَ العيد[٣].

وقيل: المرادُ بالآية زكاةُ الأموالِ كلِّها؛ قاله أبو الأحوص وعطاء[٤]. وروى ابن جُرَيج قال: قلت لعطاء: «قد أَفْلحَ مَن تَزَكَّى» للفِطْر؟ قال: هي للصَّدَقات كلِّها[٥].

وقيل: هي زكاةُ الأعمال، لا زكاةُ الأموال، أي: تطهَّر في أعماله من الرياء والتقصير؛ لأنَّ الأكثر أن يقال في المال: زَكَّى، لا تَزَكَّى. وروى جابر بن عبد الله قال: قال النبيُّ ﷺ: «﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: مَن شَهِدَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وخَلَعَ الأندادَ، وشَهِدَ أنِّي رسولُ الله»[٦]. وعن ابن عباس: «تزكَّى»، قال: لا إلهَ إلَّا الله[٧].

وروى عنه عطاءٌ قال: نزلت في عثمان بنِ عفان ﷺ. قال: كان بالمدينة منافقٌ كانت له نخلةٌ مائلةٌ في دار رجلٍ من الأنصار، إذا هبَّتِ الرياحُ أَسْقَطَتِ البُسْرَ والرُّطَبَ

---

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ٣٢٠ مطولاً.

(٢) أخرجه ابن خزيمة (٢٤٢٠)، والبزار (٣٣٨٣)، وابن عدي ٦/ ٢٠٨٠ ، والواحدي في الوسيط ٤/ ٤٧١ . وكثير بن عبد الله، قال عنه الحافظ في مختصر زوائد مسند البزار ١/٣٩٨ : ضعيف جدًّا.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٤٥ عن الضحاك.

(٤) زاد المسير ٩/ ٢٢ عن أبي الأحوص، وسيأتي عن عطاء، وأخرجه عن أبي الأحوص بنحوه الطبري ٢٤/٣١٩-٣٢٠ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٤٠ ، وفيه أن السائل هو عطاء والمسؤول ابن عباس.

(٦) أخرجه البزار (٢٢٨٤-كشف) والواحدي في الوسيط ٤/ ٤٧١ ، وفي إسناده عباد بن أحمد العرزمي، قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٣٧ : متروك.

(٧) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٥)، وهو عند الطبري ٢٤/ ٣١٩ بلفظ: تزكَّى من الشرك.

إلى دار الأنصاريِّ، فيأكلُ هو وعيالهُ، فخاصمه المنافقُ، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأرسل إلى المنافق وهو لا يعلم بنفاقه، فقال: «إنَّ أخاك الأنصاريَّ ذكر أن بُسْرَكَ ورُطَبك يقع إلى منزله، فيأكل هو وعيالهُ، فهل لك أنْ أُعطيكَ نخلةً في الجنة بَدَلَها؟» فقال: أبيعُ عاجلاً بآجلٍ! لا أَفْعلُ. فذَكَروا أنَّ عثمان بن عفان أعطاه حائطاً من نخلٍ بَدَلَ نخلته، ففيه نزلتْ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾. ونزلت في المنافق ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾[١].

وذكر الضحاك: أنَّها نزلت في أبي بكر الصدِّيقِ ﷺ[٢].

الثانية: قد ذَكَرنا القولَ في زكاة الفِطْرِ في سورة البقرة مستوفىً[٣]. وقد تقدَّم أنَّ هذه السورةَ مكيةٌ، في قول الجمهور، ولم يكن بمكةَ عِيدٌ ولا زكاةُ فِطْرٍ. القشيريُّ: ولا يَبْعدُ أن يكون أَثْنَى على مَن يَمتثلُ أمره في صدقة الفِطر وصلاةِ العيد، فيما يأمُر به في المستقبل.

الثالثة: قولهُ تعالى: ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ أي: ذَكَر ربَّه. وروى عطاءٌ عن ابن عباس قال: يريدُ ذِكْر مَعادَه وموقفَه بين يدي اللهِ جلَّ ثناؤه، فعَبَدَه وصلَّى له[٤].

وقيل: ذَكَر اسمَ ربِّه بالتكبير في أوّل الصلاة؛ لأنَّها لا تنعقدُ إلَّا بِذِكْره، وهو قولُه: الله أكبر، وبه يُحتَجُّ على وجوب تكبيرةِ الافتتاح، وعلى أنَّها ليست من الصلاة؛ لأنَّ الصلاة معطوفةٌ عليها. وفيه حجةٌ لمن قال: إنَّ الافتتاح جائزٌ بكلِّ اسمٍ من أسماءِ اللهِ عزَّ وجلَّ[٥]. وهذه مسألةٌ خلافيةٌ بين الفقهاء. وقد مضى القولُ في هذا في أوَّلِ سورة البقرة[٦].

---

(١) ذكره البغوي ٤/ ٤٩٥ عن عطاء في سبب نزول سورة الليل، وفيه: أبو الدحداح، بدل: عثمان. وأخرجه بنحوه مطولاً عن ابن عباس الواحدي في أسباب النزول ص٤٨٥ في سبب نزول سورة الليل أيضاً.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٥٥.

(٣) ينظر ما سلف ٢/ ٢٤ و٤/ ٣٦٨.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٤٥.

(٥) الكشاف ٤/ ٢٤٥، وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٠٩-١٩١٠.

(٦) ١/ ٢٦٩.

وقيل: هي تكبيراتُ العيد؛ قال الضحاك: «وذَكَر اسمَ ربِّهِ» في طريقِ المُصَلَّى، «فصلَّى»، أي: صلاةَ العيد[١].

وقيل «وذكر اسم ربِّهِ» هو أنْ يَذْكُره بقلبه عند صلاته، فيخافُ عقابَه، ويرجو ثوابَه؛ ليكون استيفاؤه لها، وخشوعُه فيها، بحَسَبِ خوفه ورجائه[٢].

وقيل: هو أنْ يفتتحَ أوّلَ كلِّ سورةٍ ببسم الله الرحمن الرحيم[٣]. «فصلَّى» أي: فصلَّى وذكر. ولا فَرْقَ بين أن تقول: أكْرمتني فزُرْتني، وبين أن تقول: زُرْتَني فأكْرَمْتني. قال ابن عباس: هذا في الصلاة المفروضة، وهي الصلواتُ الخمس[٤]. وقيل: الدعاء، أي: دعاء الله بحوائج الدنيا والآخرة. وقيل: صلاة العيد؛ قاله أبو سعيد الخُدرِيُّ وابنُ عمر وغيرهما. وقد تقدَّم[٥].

وقيل: هو أن يتطوَّع بصلاةٍ بعد زكاته؛ قاله أبو الأحوص[٦]، وهو مقتضى قولِ عطاء. ورُوِيَ عن عبد الله قال: مَن أقام الصلاةَ ولم يُؤْتِ الزكاةَ فلا صلاةَ له[٧].

قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾

قراءة العامة: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ بالتاء، تصديقُه قراءةُ أبيٍّ: «بل أنتم تُؤْثِرون»[٨]. وقرأ أبو عمرو ونصر بن عاصم: «بل يؤثِرون» بالياء على الغيبة[٩]، تقديرهُ: بل يؤثِرُون

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٤٥ ، وسلف في المسألة الأولى.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٥٥ .

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ٣٢١ .

(٥) في المسألة الأولى.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٢٥٥ ، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٣١٩-٣٢٠ .

(٧) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٩٧٤).

(٨) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٥٧ ، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٧٢ عن ابن مسعود ﷺ.

(٩) السبعة ص٦٨٠ ، والتيسير ص٢٢١ عن أبي عمرو.

الأَشْقَونَ الحياةَ الدنيا[١]. وعلى الأوّل فيكونُ تأويلُها: بل تُؤْثرون أيُّها المسلمون الاستكثارَ من الدنيا على الاستكثار[٢] من الثواب.

وعن ابن مسعود أنه قرأ هذه الآية، فقال: أَتَدْرون لم آثَرْنا الحياةَ الدنيا على الآخرة؟ لأنَّ الدنيا حَضَرتْ وعُجِّلَتْ لنا طيباتُها، وطعامُها وشرابُها، ولذَّاتُها وبَهْجَتُها، والآخرة غُيِّبَتْ عنَّا. فأَخَذْنا العاجلَ، وتَرَكْنا الآجِلَ[٣].

وروى ثابتٌ عن أنسٍ قال: كُنَّا مع أبي موسى في مَسِيرٍ، والناسُ يتكلَّمون ويَذْكُرون الدنيا. قال أبو موسى: يا أنس، إنَّ هؤلاء يكادُ أحدُهم يَفْرِي الأديمَ بلسانه فَرْياً، فتعال فلْنَذْكُر ربَّنا ساعةً. ثم قال: يا أنس، ما ثَبَرَ الناس! ما بَطَّأَ بهم؟ قلت: الدُّنيا والشيطانُ والشهواتُ. قال: لا، ولكنْ عُجِّلَتِ الدنيا، وغُيِّبت الآخرة، أَمَا واللهِ لو عاينوها ما عَدَلوا ولا مَيَّلوا[٤].

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾

أي: والدارُ الآخرةُ، أي: الجنة ﴿خَيۡرٞ﴾ أي: أفضلُ ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾ أي: أَدْوَمُ من الدنيا. وقال النبيُّ ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلَّا كما يضعُ أحدُكم أصبعَه في اليمِّ، فلْيَنْظُرْ بِمَ يرجع» صحيح. وقد تقدم[٥]. وقال مالك بنُ دينارٍ: لو كانت الدنيا من ذهبٍ يَفْنَى، والآخرةُ من خزفٍ يبقَى، لكان الواجبُ أنْ يُؤْثَر خزفٌ يبقَى على ذهبٍ يفنَى.

---

(١) يعني أنه مردود على الأشقى في قوله تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى﴾.

(٢) في النسخ: للاستكثار، بدل: على الاستكثار، والمثبت من اللباب ٢٠/ ٢٨٦ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٣٢٢ ، والطبراني في الكبير (٩١٤٧). قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: وهذا منه على وجه التواضع والهضم، أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٣٨٦ ، وأحمد في الزهد ص٢٤٧ ، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٥٩ .
قوله: يفري الأديم، الفَرْي: الشَّق، والأديم: الجلد. القاموس (أدم) و(فري).
وقوله: ما ثبر الناس، أي: مالذي صدَّهم ومنعهم. قوله: ما عدلوا، أي: ما ساوَوا بها شيئاً. ولا ميَّلوا، أي: ما شكُّوا ولا تردَّدوا. النهاية (ثبر) و(ميل).

(٥) ٥/ ٤٨١ ، وهو في صحيح مسلم (٢٨٥٨).

قال: فكيف والآخرةُ من ذهبٍ يبقَى، والدنيا من خزفٍ يفنَى!

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ قال قتادة وابنُ زيد: يريد قولَه: ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ وقالا: تتابعتْ كتبُ اللهِ جلَّ ثناؤه ـ كما تسمعون ـ أنَّ الآخرة خيرٌ وأبقَى من الدنيا[١].

وقال الحسن: «إِنَّ هذا لَفي الصحفِ الأُولى» قال: كُتُبِ الله جلَّ ثناؤه كلِّها[٢].

الكلبيُّ: «إِنَّ هذا لفي الصُّحفِ الأولى»: من قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ إلى آخر السورة[٣]؛ لحديثِ أبي ذرٍّ على ما يأتي.

ورَوى عِكرمةُ عن ابن عباس: «إِنَّ هذا لفي الصحف الأولى» قال: هذه السورة[٤].

وقال الضحاك: إنَّ هذا القرآنَ لفي الصُّحُفِ الأُولى[٥]، أي: الكتبِ الأولى.

﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ يعني الكتبَ المنزلةَ عليهما. ولم يُرِدْ أنَّ هذه الألفاظَ بعينها في تلك الصحف، وإنَّما هو على المعنى، أي: إنَّ معنَى هذا الكلامِ واردٌ في تلك الصُّحف. وروى الآجُرِّيُّ من حديثِ أبي ذرٍّ قال: قلتُ: يا رسولَ الله، فما كانت صحفُ إبراهيم؟ قال: «كانت أمثالاً كلُّها: أيها الملكُ المتسلِّطُ المُبْتَلَى المغرورُ، إنِّي لم أَبعثْكَ لتَجمَعَ الدنيا بعضَها على بعضٍ، ولكنْ بَعثْتُكَ لتردَّ عني دعوةَ المظلوم، فإنِّي لا أردُّها ولو كانت من فمِ كافرٍ. وكان فيها أمثالٌ: وعلى العاقلِ أن يكون له ساعاتٌ: ساعةٌ يُناجي فيها ربَّه، وساعةٌ يحاسبُ فيها نفسَه، يفكِّر فيها في صُنْعِ اللهِ عزَّ وجلَّ

---

(١) أخرجه قولهما الطبري ٢٤/ ٣٢٤-٣٢٥ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٤١ .

(٣) ذكره الطبري ٢٤/ ٣٢٥ واختاره.

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٦٠٤)، وسعيد بن منصور، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٤١ .

(٥) ذكره ابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٩١٠ وقال: قول ضعيف؛ لأنه باطل قطعاً.

إليه، وساعةٌ يخلو فيها لحاجته من المَطْعَم والمَشْرَب. وعلى العاقل ألَّا يكون ظاعنًا إلَّا في ثلاثٍ: تزوُّدٌ لمعَادٍ، وَمَرمَّةٌ لمعاشٍ، ولذةٌ في غير محرَّمٍ. وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مُقْبلاً على شأنه، حافظاً للسانه. ومَن عدَّ[1] كلامَه من عمله قلَّ كلامُه إلَّا فيما يعنيه». قال: قلتُ : يا رسول الله، فما كانت صحفُ موسى؟ قال: «كانت عِبراً كلُّها : عجِبْتُ لمن أيْقَنَ بالموت كيف يفرح! وعجبتُ لمن أيقنَ بالقَدَر كيف ينْصَب! وعجبتُ لمن رأى الدنيا وتقلُّبَها بأهلها كيف يطمئنُّ إليها! وعجبتُ لمن أيقنَ بالحساب غداً ثم هو لا يعمل!» قال: قلتُ: يا رسول الله، فهل في أيدينا شيءٌ ممَّا كان في يَدَيْ إبراهيم وموسى، مما أنزل الله عليك؟ قال: «نعم، اقرأ يا أبا ذرّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ . وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ . بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا . وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ . إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ . صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾. وذَكَر الحديث[2].

---

(١) في المصادر: ومن حسب.

(٢) أخرجه ابن حبان (٣٦١) مطولاً، وفي إسناده إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، قال عنه أبو حاتم: كذاب، كما في الجرح والتعديل ٢/ ١٤٢-١٤٣ . وأخرجه ابن عدي ٧/ ٢٦٩٩ ، وابن عساكر في تاريخه ٢٣/ ٢٧٨ بإسناد آخر عن أبي ذر، وفيه يحيى بن سعد السعدي عن ابن جريج، قال ابن عدي: هذا حديث منكر من هذا الطريق عن ابن جريج، ويحيى بن سعد هذا يعرف بهذا الحديث.

سُورةُ ﴿سَبِّحِ﴾[1]

مكيَّةٌ، وآيُها تسعَ عشرةَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾: نـزِّهِ اسـمَهُ عَـن الإلحـادِ فيـه بالتَّأويـلاتِ الزَّائغَـةِ، وإطلاقِـه[2] على غيـرِه زاعمًا أَنَّهُما فيه سـواءٌ، وذكـرِه لا على وجهِ التَّعظيـمِ، وقُرِئَ: (سُـبحانَ ربـي الأعلى)[3].

وفـي الحديـثِ: لَمَّـا نزلَـتْ ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قـال عليـه السَّـلامُ: «اجعَلُوهـا فـي ركوعِكُـم»، فلَمَّـا نـزلَ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قـال «اجعلوهـا فـي سُـجودِكُم»[4].

وكانوا يقولون في الركوع: اللهمَّ لك ركَعْتُ، وفي السُّجودِ: اللهم لك سَجَدْتُ.

(٢) ـ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾: خلقَ كلَّ شيءٍ فسوَّى خلقَهُ، بأَنْ جعلَ له ما به يتأتَّى كمالُه ويَتِمُّ معاشُهُ.

---

(١) في نسخة الخيالي: «سورة سبح اسم ربك».

(٢) «وإطلاقه» عطف على «الإلحاد»، انظر: «حاشية الأنصاري» (٥/ ٤٩٠).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧٢)، و«الكشاف» (٩/ ٥٥٢)، عن علي رضي الله عنه.

(٤) رواه أبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، وابن حبان في «صحيحه» (١٨٩٨)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٣) ـ ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ﴾؛ أي: قدَّرَ أجناسَ الأشياءِ وأنواعَها وأشخاصَها ومقاديرَها وصِفاتِها وأفعالَها وآجالَها، وقرأ الكسائي: ﴿قدَرَ﴾ بالتخفيف[١].

﴿فَهَدَىٰ﴾: فوجَّهه إلى أفعاله طبعًا أو اختيارًا بخلقِ الميولِ والإلهاماتِ، ونصبِ الدلائلِ وإنزالِ الآياتِ.

(٤ ـ ٥) ـ ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾: أنبتَ ما يرعاهُ الدَّوابُّ ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾ بعد خُضرَتِه ﴿غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾: يابسًا أسودَ، وقيل: ﴿أَحْوَىٰ﴾ حالٌ مِن ﴿ٱلْمَرْعَىٰ﴾؛ أي: أخرجَهُ أحوى مِن شدَّةِ خُضرَتِه.

(٦) ـ ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ على لسانِ جبريلَ، أو: سنجعلُكَ قارئًا بإلهامِ القراءةِ.

﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ أصلًا مِن قُوَّةِ الحفظِ مع أنَّكَ أمِّيٌّ؛ ليكونَ ذلك آيةً أخرى لك، مع أنَّ الإخبارَ به عمَّا يُستقبَلُ ووقوعَه كذلك أيضًا مِن الآياتِ.

وقيل: نهيٌ، والألفُ للفاصِلَةِ كقولِه: ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧].

(٧) ـ ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ نسيانَهُ بأَنْ نَسَخَ تِلاوتَهُ.

وقيل: المرادُ به القِلَّةُ والنُّدرَةُ؛ لِمَا رُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ أسقطَ آيةً في قراءتِهِ في الصَّلاةِ، فحسبَ أبيٌّ أنَّها نُسِخَتْ، فسألَهُ فقال: «نُسِّيتُها»[٢].

أو نفيُ النِّسيانِ رأسًا؛ فإنَّ القِلَّةَ تُستعملُ للنَّفيِ.

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾: ما ظهرَ مِن أَحوالِكُم وما بَطَنَ، أو: جهرَكَ بالقراءةِ مع جبريلَ، وما دعاكَ إليه مِن مَخافةِ النِّسيانِ، فيعلمُ ما فيه صَلاحُكَ[٣] مِن إبقاءٍ وإنساءٍ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٠)، و«التسيير» (ص: ٢٢١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٥٣٦٥)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٨٣)، من حديث عبد الرحمن بن أبزى رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٦٩): رواه أحمد والطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

(٣) في نسخة التفتازاني: «صلاحكم».

(٨) ـ ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾: ونُعِدُّكَ للطَّريقَةِ اليُسرَى في حفظِ الوَحْيِ أو التَّديُّنِ، ونُوَفِّقُكَ لها، ولهذه النُّكتَةِ قال: ﴿نُيَسِّرُكَ﴾ لا: نيسِّرُ لكَ، عطفٌ على ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾، و﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ﴾ اعتراضٌ.

(٩) ـ ﴿فَذَكِّرْ﴾ بعدما استَتبَّ لكَ الأمرُ ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ لعلَّ هذه الشَّرطيَّةَ إنَّما جاءَتْ بعدَ تكريرِ التَّذكيرِ وحُصولِ اليأسِ عَن البعضِ؛ لئلَّا يُتعِبَ نفسَهُ ويتلهَّفَ عليهِم، كقولِه: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ الآية [ق: ٤٥]، أو لذمِّ المَذكَّرينَ واستبعادِ تأثيرِ الذِّكرى فيهِمْ، أو للإشعارِ بأنَّ التَّذكيرَ إنَّما يَجِبُ إذا أَمْكنَ نفعُهُ، ولذلك أُمِرَ بالإعراضِ عمَّنْ تولَّى.

(١٠) ـ ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾: سيتَّعِظُ وينتفِعُ بها مَن يَخْشَى اللهَ تعالى، بأنَّه يَتفكَّرُ فيها فيعلَمُ حقيَّتَها، وهو يتناوَلُ العارفَ والمتردِّدَ.

(١١) ـ ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾: ويَتجنَّبُ الذِّكرى ﴿ٱلْأَشْقَى﴾: الكافرُ؛ فإنَّه أشقى مِن الفاسقِ، أو: الأشقى مِن الكَفَرةِ لتوغُّلِهِ في الكُفرِ.

(١٢) ـ ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: نارَ جهنَّمَ؛ فإنَّه عليهِ السَّلامُ قال: «نارُكُم هذهِ جزءٌ مِن سبعينَ جزءًا مِن نارِ جهنَّمَ»[1]، أو ما في الدَّرْكِ الأَسفلِ منها.

(١٣) ـ ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريحَ ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياةً تَنفَعُهُ.

(١٤) ـ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾: تطهَّرَ مِن الكُفرِ والمعصيةِ، أو: تَكثَّرَ مِن التَّقوى؛ مِن الزَّكاءِ[2]، أو: تطهَّرَ للصَّلاةِ[3]، أو: أدَّى الزَّكاةَ.

---

(١) رواه «البخاري» (٣٢٦٥) و«مسلم» (٢٨٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قوله: «من الزكاء» هو كالنماء لفظا ومعنى، قاله الشهاب.

(٣) قوله: «أو تطهر...» لم يقدمه على المعنى الثاني مع أنه متحد مع الأوّل في كون الزكاة فيهما بمعنى الطهارة لئلا يفصل بين المعنيين السابقين فإنهما بمعنًى واحد فإنّ من تطهر عن الكفر والمعصية فهو =

(١٥) ـ ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ بقلبِهِ ولِسانِه ﴿فَصَلَّىٰ﴾ كقولِه: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: ١٤]، ويجوزُ أَنْ يُرادَ بالذِّكرِ تكبيرَةُ التَّحريمِ.

وقيل: ﴿تَزَكَّىٰ﴾: تَصدَّقَ للفطرِ، ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾: كبَّرَهُ يومَ العيدِ فصَلَّى صلاتَه.

(١٦) ـ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ فلا تفعلونَ ما يُسعِدُكُم في الآخرةِ، والخطابُ للأَشْقَيْنَ على الالتفاتِ، أو على إضمارِ: قُلْ، أو للكلِّ؛ فإنَّ السَّعيَ للدُّنيا أكثَرُ في الجملةِ، وقرَأَ أبو عَمرٍو بالياءِ[١].

(١٧) ـ ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ فإنَّ نَعيمَهَا مُلِذٌّ بالذَّاتِ[٢] خالصٌ عن الغوائلِ لا انقطاعَ لهُ.

(١٨) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ الإشارةُ إلى ما سبقَ مِن ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾؛ فإنَّه جامعٌ أمرَ الدِّيانَةِ وخلاصةَ الكُتبِ المُنزَلَةِ.

(١٩) ـ ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ بدلٌ مِن ﴿ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

قال عليه السَّلامُ: «مَن قرأَ سُورةَ الأعلى[٣] أعطاهُ اللهُ عَشرَ حَسناتٍ بعددِ كلِّ حرفٍ أنزلَهُ اللهُ على إبراهيمَ ومُوسَى ومُحمَّدٍ عليهِم السَّلامُ»[٤].

***

= متق، وأيضاً أخره لتقترن الصلاة بالزكاة فإنهما أخوان، قاله الشهاب.

(١) والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٠)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

(٢) في نسخة الطبلاوي: «تلتذ بالذات». وقال الشهاب: «ملذ» بصيغة اسم الفاعل من «ألذ» إذا وجد اللذة، وقوله: «بالذات» بخلاف نعيم الدنيا فإنه بالعَرَض؛ كدفع ألم الجوع والعطش مثلاً.

(٣) في نسخة التفتازاني: «سبح».

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٢٢٨)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٦٨)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٣)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

سورة الأعلى(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩ ﴾.

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ الآية، هذا السورة مكية. ولمّا ذكر فيما قبلها ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ ﴾ [ااالطارق] كأن قائلاً قال: مَن خلقه على هذا المثال؟ فقيل: «سبح اسم ربك الأعلى» وأيضاً لما قال: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ ﴾ [الطارق] قيل: هو «سنقرئك» أي: ذلك(٢) القول الفصل. و﴿ سَبِّحِ ﴾ نزّه عن النقائص. ﴿ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾ الظاهر أن التنزيه يقع على الاسم، أي: نزِّهْه عن أن يُسمّى به صنم أو وثن، فيقال له ربٌّ أو إله. وإذا كان قد أمر بتنزيه اللفظ أن يطلق على غيره، فهو أبلغ، وتنزيه الذات أحرى. وقيل: الاسم هنا بمعنى المسمّى. قيل: لما نزل «سبح اسم ربك الأعلى» قال

---

(١) مكية وهي تسع عشرة آية.

(٢) ق: ذا.

رسول الله ﷺ[١] «اجعلوها في سجودكم». وكانوا يقولون في الركوع: اللهم لك ركعت. وفي السجود: اللهم لك سجدت. والأظهر أن «الأعلى» صفة لـ«ربك».

﴿ٱلَّذِى﴾ صفة أيضاً. ﴿خَلَقَ﴾ أي: كل شيء. ﴿فَسَوَّىٰ﴾ أي: لم يأت متفاوتاً بل متناسباً على إحكام وإتقان، على أنه صادر عن عالم حكيم.

و﴿فَهَدَىٰ﴾ عام لجميع الهدايات. و﴿ٱلْمَرْعَىٰ﴾ النبات الذي يُرعى.

والغثاء: ما يقذف به السيل على جانب الوادي من الحشيش والنبات وغير ذلك. والأحوى: السواد المائل إلى الخضرة. ولما تغايرت الصفات، وتباينت، أتى لكل صلة بموصول، وعطف على كل صلة ما يترتب عليها فجاء الموصول الأول «الذي خلق فسوى» والثاني «الذي قدّر فهدى» والثالث: الذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء. فـ«أحوى» حال من «المرعى» وأخّر لكونه فاصلة.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ هذا في معنى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ ﴿١٦﴾﴾ [القيامة] وعده الله أن يقرئه، وأخبره أنه لا ينسى نسياناً لا يكون بعده ذكر، إذ كان يحرك شفتيه مبادرة، خوفاً من أن ينسى. وهذه آية للرسول عليه السلام في أنه أمّي وحفظ الله عليه الوحي وآمنه من نسيانه.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الظاهر أنه استثناء مقصود معناه: ممّا قضى الله بنسخه، وأن ترتفع تلاوته وحكمه. ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ أي: جهرك بالقرآن. ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾ أي: في نفسك من خوف التفلّت، وقد كفاك ذلك لكونه تكفّل بإقرائك إياه،

---

(١) أخرجه ابن ماجة ١: ٢٨٧ من حديث عقبة بن عامر الجهني.

وإخباره أنك لا تنسى إلا [٥٧٧/أ] ما استثناه. وتضمّن ذلك إحاطة علمه بالأشياء.

﴿وَنُيَسِّرُكَ﴾ معطوف على «سنقرئك» وما بينهما من الجملة المؤكدة اعتراض، أي: نوفقك للطريقة التي هي أيسر وأسهل، يعني في حفظ الوحي.

ولما أخبر أنه يقرئه وييسّره، أمره بالتذكير إذ ثمرة الإقراء هي انتفاعه في ذاته وانتفاع من أُرسل إليهم. والظاهر أن الأمر بالتذكير مشروط بنفع الذكرى. وهذا الشرط إنما جيء به توبيخاً لقريش، أي: إن نفعت الذكرى في هؤلاء الطغاة العتاة. ومعناه استبعاد انتفاعهم بالذكرى.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ أي: يتذكر بذكراك من يخاف، فإن الخوف حامل على النظر في الذي ينجيه مما يخافه.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ أي: الذكرى. ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ أي: البالغ في الشقاوة لأن الكافر بالرسول عليه السلام هو أشقى الكفار، كما أن المؤمن به وبما جاء به هو أفضل ممّن آمن برسول قبله.

ثم وصفه[١] بما يؤول إليه حاله في الآخرة وهو صلي النّار. ووصفها بـ«الكبرى» وهي[٢] نار الآخرة، والصغرى نار الدنيا.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياة هنيّة. وجيء بـ«ثمّ» المقتضية للتراخي إيذاناً بتفاوت مراتب الشّدة، لأن التردد بين الحياة والموت أشد

---

(١) ق: وصف.

(٢) ق: هي.

وأقطع من الصّلي.

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ﴾ أي: فاز وظفر بالبغية. ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ من تطّهر من الشرك وقال: لا إله إلا الله، قاله ابن عباس.

﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ﴾ أي: وحده لم يقرنه بشيء من الأنداد. ﴿فَصَلَّىٰ﴾ أي: الصلاة المفروضة وما أمكنه من النوافل. والمعنى أنه لمّا تذكر آمن بالله. ثم أخبر تعالى عنه أنه أفلح من أتى بهاتين العبادتين الصلاة والزكاة.

وقرىء: يؤثرون، بياء الغيبة، وبالتاء خطاباً للكفار.

[﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي قوله]: «والآخرة خير وأبقى». ﴿لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ لم ينسخ إفلاح من تزكّى والآخرة خير وأبقى في شرع من الشرائع، فهو في الأولى وفي آخر الشرائع. وتقدم الكلام على صحف إبراهيم وموسى في سورة النجم[1].

(١) انظر تفسير الآيتين ٣٦، ٣٧ من النجم.

مفردات سورة الأعلى

الغُثَاء: مخفَّف الثاءِ ومشدَّدها: ما يَقْذِفُ به السَّيْلُ على جانب الوادي مِن الحَشِيْش والنَّبات والقُماش[1]، قال الشاعر:

كـأَنَّ طـمـيَّـة الـمُـجَـيْـمِـرِ غُـدْوةً   مِن السَّيْلِ والغُثَّاء فَلْكَةُ مِغْزَلِ[2]

ورواه الفَرَّاء: والأغثاء، على الجَمْع، وهو غريبٌ مِن حيث جمعَ: فَعَال على أفْعَال.

الحُوَّة: سوادٌ يَضرِبُ إلى الخُضْرَة، قال ذو الرُّمَّة:

لـمـيـاءُ فـي شَـفَـتـيـهـا حُـوَّةٌ لَـعَـسٌ   وفـي الـلِّـثَـاتِ وفـي أنيـابـهـا شَـنَـبُ[3]

وقيل: خُضْرَة عليها سوادٌ، والأحوى: الظَّبْيُ الذي في ظَهْرِه خطَّانِ من سوادٍ وبياضٍ، قال الشاعر:

---

(١) القُماش: هو ما على وجه الأرض من فتاتِ الأشياء. القاموس (قمش).

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٢٤-٢٢٥، والبيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٢٥، وشرح المعلقات للنحاس ١/ ٤٨، وللتبريزي ص٧٠، قال التبريزي: والمجيمر: أرض لبني فزارة، وطمية: جبل في بلادهم، يقول: قد امتلأ المجيمر، فكأن الجبل في الماء فلكة مغزل، لِمَا جمع السيلُ حوله من الغثاء. ورواه الفراء: من السيل والأغثاء ـ وكذا وقع عند القرطبي، وسيشير المصنِّف إلى هذه الرواية الآن ـ جمع الغُثاء، وهو قليل في الممدود.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٢٥، ووقع عنده البيت منسوباً للأعشى، وليس في ديوانه، وهو كما قال المصنِّف لذي الرُّمَّة، وهو في ديوانه ١/ ٣٢. قال شارح الديوان: اللَّمى: سُمْرة في الشفتين، وكذلك الحُوَّة شبيهة باللَّمى تضرب إلى السواد، وكذلك اللَّعَس يكون بالشفتين واللثة.
والشنب: قال الأصمعي: بردٌ وعذوبة في الأسنان، وغيره يقول: تمديد الأسنان ودقتها، والأول أجود.

وفي الحَيِّ أَحوى يَنْفُضُ المَرْدَ شَادِنٌ مُظاهِرُ سِمْطَي لُؤلؤٍ وَزَبَرْجَدِ[١]

وفي «الصحاح»: الحُوَّة: سُمْرَةٌ[٢]، وقال الأعلم: لونٌ يَضْرِبُ إلى السَّواد، وقال أيضاً: الشديدُ الخُضْرَة التي تَضْرِب إلى السَّواد.

* * *

سورة الأعلى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ① ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ② وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ③ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ
④ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ⑤ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ⑥ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ⑦
وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ⑧ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ⑨ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ⑩ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ⑪
ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ⑫ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ⑬ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ⑭ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ
فَصَلَّىٰ ⑮ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ⑯ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ⑰ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ
⑱ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ⑲﴾.

هذه السورة مكِّيَّة، ولمَّا ذكرَ فيما قَبْلَها: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ⑤﴾ [الطارق: ٥] كأنَّ قائلاً قال: مَن خَلَقه على هذا المثال؟ فقيل: «سَبِّح اسمَ ربِّك»، وأيضاً لمَّا قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ⑬﴾ [الطارق: ١٣] قيل هو: «سَنُقْرِئك» أي: ذلك القولُ الفَصْل.

«سَبِّح»: نَزِّه عن النقائص «اسمَ ربِّك» الظاهر أنَّ التنزيهَ يقع على الاسم، أي: نَزِّهه عن أنْ يُسمَّى به صَنَم أو وَثَن، فيقال له: ربّ أو إله، وإذا كان قد أمرَ بتنزيه اللفظ أنْ يُطلقَ على غيره فهو أَبلغُ وتنزيهُ الذات أَحرى.

---

(١) البيت من معلقة طرفة بن العبد، وهو في ديوانه ص٨، والمَرْد: ثمر الأراك، والشادن: الظبي الذي كاد يستغني عن أمِّه، والسمط: الخيط من اللؤلؤ.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٢٥، والصحاح (حوا).

وقيل: الاسم هنا بمعنى المُسمَّى، وقيل: معناه: نَزِّه اسمَ اللهِ عن أَنْ تَذكُره إلَّا وأنتَ خاشع.

وقال ابنُ عباس: المعنى: صَلِّ باسمِ ربِّك الأعلى، كما تقول: ابْدَأ باسمِ اللهِ، وحذف حرف الجرّ[1].

وقيل: لمَّا نزلَ: «فسبِّح باسمِ ربك العظيم»، قال رسولُ الله ﷺ: «اجعلُوها في ركوعكم»، فلمَّا نَزَلَ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال: «اجعلوها في سجودِكم». وكانوا يقولون في الرُّكوع: اللَّهمَّ لكَ ركعتُ، وفي السجود: اللَّهمَّ لكَ سجدتُ[2].

قالوا: «الأعلى» يصحُّ أن يكون صفةً لـ «ربِّك»، وأن يكون صفةً لـ «اسم»، فيكون منصوباً، وهذا الوجه لا يصحُّ على أَنْ يعرب «الذي خَلَق» صفة لـ «ربِّك»، فيكون في موضع جرٍّ؛ لأنَّه قد حالت بينَه وبين الموصوف صفة لغيرِه، لو قلت: رأيتُ غلامَ هندٍ العاقلَ الحسنةِ، لم يَجز؛ بل لا بُدَّ أن تأتي بصفة هند، ثم تأتي بصفة الغلام، فتقول: رأيتُ غلامَ هندٍ الحسنةِ العاقلَ.

فإنْ لم يجعل «الذي» صفة لـ «ربِّك» بل تَرفعه على أنَّه خبر مبتدأ محذوف، أو تنصبه على المدح، جاز أَنْ يكون «الأعلى» صفة لاسم.

«الذي خَلَقَ» أي: كلَّ شيء «فسوَّى» أي: لم يَأْتِ متفاوِتاً، بل متناسباً على إحكام وإتقان؛ دلالة على أنَّه صادرٌ عن عالم حكيم.

وقرأ الجمهور: «قدَّر» بشدِّ الدَّالِ، فاحتمل أن يكون مِن القَدَر والقضاء، واحتمل أَنْ يكون مِن التقدير والموازنة بين الأشياء.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٨، وخبر ابن عباس في تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٢٠، والثعلبي ٦/ ٤٣٤، والبغوي ٤/ ٤٧٥، وورد عندهم: بأمر، بدل: باسم.

(٢) الكشاف ٤/ ، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٤٣٣-٤٣٤، والخبر عقبة بن عامر الجهني ﷺ، وهو عند أبي داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧).

وقال الزمخشريُّ: «قدّر» لكلِّ حيوان ما يُصلحه فهداه إليه وعرَّفه وجه الانتفاع به[١]. انتهى.

وقرأ الكسائيُّ: «قَدَرَ» بخفِّ الدال[٢]، مِن القُدرة، أو مِن التقدير والموازنة.

وهدى عامٌّ لجميع الهدايات، وقال الفرَّاء: «فَهَدى» وأضلَّ، اكتفى بالواحدة عن الأُخرى.

وقال الكلبيُّ ومقاتل: هَدَى الحيوانَ إلى وَطْءِ الذكورِ للإناث.

وقال مجاهد: هَدَى الإنسان للخير والشَّرِّ، والبهائم للمراتع.

وقيل: هَدَى المولودَ عند وَضْعه إلى مصِّ الثَّدْي[٣].

وهذه الأقوال محمولةٌ على التمثيل لا على التخصيص، والظاهر أنَّ «أحوى» صفة لـ «غُثَاء»، قال ابنُ عبَّاس: المعنى «فجعله غثاءً أَحوى» أي: أسود؛ لأنَّ الغُثاءَ إذا قَدُمَ وأصابته الأمطارُ اسودَّ وتعفَّن، فصار أحوى[٤].

وقيل: «أحوى» حال مِن «المَرْعى»، أي: أخرج[٥] المرعَى أَحْوَى، أي: للسَّواد مِن شُدَّة خضرته ونَضَارته لكثرة رِيِّه.

وحسنَ تأخير «أحوى»؛ لأجلِ الفواصل، قال:

وغيثٍ مِن الوَسْمِيِّ حُوٍّ تِلاعُه ... تَبطَّنْتُهُ بشَيْظَمٍ صَلَتانِ[٦]

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٤٥.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٢٢ وزاد القراءة عن عليّ والسُّلَميّ، وقراءة الكسائي في السبعة ص٦٨٠، والتيسير ص٢٢١، والنشر ٢/ ٣٩٩.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٨-٤٦٩، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٢٥٦، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٢٣-٢٢٤، والنكت والعيون ٦/ ٢٥٢، وزاد المسير ٩/ ٨٨، وتنظر الآثار عند الطبريّ ١٦/ ٧٩-٨٠ و٢٤/ ٣١١-٣١٢.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٩.

(٥) في النسخ: أحوى. والمثبت من تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٢٦ والكلام منه، وهو الصواب، وينظر أيضاً الكشاف ٤/ ٢٤٥.

(٦) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٢٠-٢٢٦، والبيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٨٧، والوسمي: مطر الربيع الأول، والتلاع: جمع التَّلعة، وهي مسيل الماء، أو ما اتَّسع من فوهة الوادي، أوِ

«سنقرئك فلا تنسى» قال الحسن وقتادة ومالك: هذا في معنى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦] وَعَدَ اللهُ أَنْ يقرئه وأَخبره أنَّه لا يَنسى [(١)]نسياناً لا يكون بَعْدَهُ ذِكْرٌ، إذ كان يُحرِّك شفتيه مبادرةً خوفاً من أَنْ ينسى[(١)]، وهذه آيةٌ للرَّسول ﷺ في أنَّه أُمِّيّ، وحَفِظَ اللهُ عليه الوحيَ وأَمَّنَهُ مِن نسيانه.

وقيل: هذا وَعْدٌ بإقرار السُّوَر، وأَمْرٌ أَنْ لا يَنْسى؛ على معنى التثبيت والتأكيد، وقد علم أنَّ النسيانَ ليس في قدرته، فهو نهيٌ عن إغفال التعاهد، وأُثبتت الألف في «فلا تنسى» وإن كان مجزوماً بـ «لا» التي للنهي؛ لتعديل رؤوس الآي[(٢)].

«إلّا ما شاءَ اللهُ» الظاهر أنَّه استثناء مقصود، قال الحسن وقتادة وغيرهما: معناه: ممَّا قضى اللهُ بنَسْخِه وأَنْ ترتفعَ تلاوته وحكمَه، وقال ابنُ عباس: «إلّا ما شاءَ اللهُ» أَنْ يُنْسِيكَهُ لتَسُنَّ به، على نحو قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنِّي لأُنَسَّى، وأُنَسَّى لأَسُنَّ»[(٣)].

وقيل: «إلَّا ما شاءَ اللهُ» أن يَغلبكَ النِّسيانُ عليه، ثم يذكّرك به بَعْدُ، كما قال عليه الصلاة والسلام حين سمعَ قراءةَ عَبَّاد بن بِشْر[(٤)]: «لقد ذكَّرني كذا وكذا آية في سورة كذا وكذا»[(٥)].

= القطعة المرتفعة من الأرض. القاموس (وسم) و(تلع)، والصَّلَتان: القصير الشعر، وتبطنته: سلكت بطنه وسرت فيه، والشيظم: الطويل. قاله الشارح.

(١-١) زيادة من (يه).

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٩، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٢٦-٢٢٧.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٩، ولم نقف عليه فيما بين أيدينا من مصادر، وتنظر الآثار الواردة في ذلك عند القرطبي ٢٢/ ٢٢٧، وتفسير الطبري ٢٤/ ٣١٥-٣١٦.

(٤) في النسخ: عباد بن بشير، والمثبت من المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٩، وهو الصواب، وهو: عباد بن بشر بن وقش، من بني عبد الأشهل، ذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدراً، قالوا: واستُشهدَ باليمامة. الإصابة ٥/ ٣١١، وينظر تخريج الحديث الآتي.

(٥) أخرج البخاري (٢٦٥٥)، ومسلم (٧٨٨) عن عائشة أنها قالت: سمع رسولُ الله ﷺ رجلاً يقرأ في المسجد، فقال: «رحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتهن من سورة كذا وكذا». قال البخاري: وزاد عباد بن عبد الله، عن عائشة: تهجَّد النبيُّ ﷺ في بيتي، فسمع =

وقيل: «فلا تنسى» أي: فلا تترك العمل به «إلا ما شاءَ الله» أَنْ تَتْرُكَه بنَسْخه إيَّاه، فهذا في نَسْخ العمل.

وقال الفرَّاء وجماعة: هذا استثناء صلة في الكلام على سنَّة اللهِ تعالى في الاستثناء، وليس ثمَّ شيء أُبيح استثناؤه[(١)].

وأَخَذَ الزمخشريُّ هذا القولَ، فقال: أو قال: «إلَّا ما شاءَ اللهُ» والغرض نفيُ النِّسيان رأساً، كما يقول الرجلُ لصاحبه: أنتَ سهيمي فيما أملك إلَّا فيما شاءَ اللهُ، ولا يقصد استثناءَ شيءٍ، وهو مِن استعمال القِلَّة في معنى النفي[(٢)]. انتهى.

وقول الفرَّاء والزمخشريّ يجعل الاستثناء كلا استثناء، وهذا لا ينبغي أَنْ يكون في كلام الله تعالى، بل ولا في كلام فصيح.

وكذلك القول بأنَّ «لا» في «فلا تنسى» للنهي، والألف ثابتة لأَجْلِ الفاصلة، وهو قولٌ ضعيف، ومفهوم الآية في غاية الظُّهور، وقد تعسَّفوا في فهمهما، والمعنى أنَّه تعالى أخبر أنَّه سَيُقْرِئه وأنَّه لا يَنسى إلَّا ما شاءَ اللهُ فإنَّه ينساه؛ إمَّا النَّسْخ وإمَّا أَنْ يَسُنّ، وإمَّا على أَنْ يتذكَّر، وهو ﷺ معصومٌ مِن النسيان فيما أمرَ بتبليغه، فإنْ وَقَعَ نسيانٌ، فيكون على وجهٍ مِن هذه الوجوهِ الثلاثة.

ومناسبة «سَنُقْرِئك» لِمَا قَبْلَه: أَنَّه لمَّا أَمَره تعالى بالتسبيح، وكان التسبيحُ لا يتمُّ إلَّا بقراءةِ ما أنزلَ عليه مِن القرآن، وكان يتذكَّر في نفسه مخافَةَ أَنْ يَنسى، فأَزال عنه ذلك وبشَّره بأنَّه تعالى يُقْرِئه وأنَّه لا يَنسى، واستثنى ما شاءَ أَنْ يُنْسِيَه؛ لمصلحة مِن تلك الوجوه.

= صوت عبَّاد يصلِّي في المسجد، فقال: «يا عائشة، أصوت عبَّادٍ هذا»؟ قلت: نعم. قال: «اللَّهم ارحم عبَّاداً». قلنا: وَصَله أبو يعلى (٤٣٨٨) من طريق عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة قالت: تهجَّد رسول الله ﷺ في بيته وتهجَّد عبَّاد في المسجد، فسمع رسولُ الله ﷺ صوته... الحديث. وينظر فتح الباري ٥/ ٢٦٥.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٩، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٢٧، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٥٦.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٤٥.

«إنَّه يَعلمُ الجهرَ» أي: جَهْرَك بالقرآن «وما يَخفى» أي: في نفسك مِن خوف التفلُّت، وقد كفاكَ ذلك بكونه تكفَّل بإقرائك إيَّاه وإخبارِه أنَّكَ لا تَنسى إلَّا ما استثناه وتضمَّن ذلك إحاطة عِلْمه بالأشياء.

«ونُيسِّرك» معطوف على «سَنُقْرِئك»، وما بينهما مِن الجملة المؤكّدة اعتراض، أي: يوفِّقك للطريقة التي هي أيسرُ وأسهل، يعني: في حِفْظِ الوحي.

وقيل: للشريعة الحنيفيَّة السهلة، وقيل: يذهب بكَ إلى الأمور الحسنة في أَمْرِ دنياكَ وآخِرَتكَ مِن النَّصْر وعُلوِّ المنزلة والرفعة في الجنة.

ولمَّا أخبر أنَّه يُقرِئه وييسِّره أَمَرَه بالتَّذكير، إذ ثمرةُ الإقراءِ هي انتفاعُه في ذاته وانتفاعُ مَن أُرسل إليهم.

والظاهر أنَّ الأمرَ بالتذكير مشروطٌ بنَفْع الذِّكرى، وهذا الشَّرْط إنَّما جِيْءَ به؛ توبيخاً لقريش، أي: «إن نفعتِ الذِّكرى» في هؤلاء الطُّغاة العُتاة، ومعناه: استبعاد انتفاعهم بالذِّكرى، فهو كما قال الشاعر:

لقد أَسمعتَ لو ناديتَ حيًّا ... ولكن لا حياةَ لِمَن تُنادِي[(١)]

كما تقول لرجلٍ: قُلْ لفلانٍ وأَعِدْ له إنْ سَمِعَكَ، فقوله: إنْ سمعك، إنَّما هو توبيخٌ وإعلام أنَّه لَنْ يَسمع.

وقال الفرَّاء والنَّحاس والزَّهْراويُّ والجرجانيُّ: معناه: وإنْ لم ينفع فاقتَصِر على القِسْم الواحد؛ لدلالته على الثاني[(٢)].

وقيل: «إنْ» بمعنى «إذ» كقوله: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] أي: إذ كنتم؛ لأنَّه لم يُخبِر بكونهم الأعلون إلَّا بعد إيمانهم.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٠، وما بعده منه أيضاً، والبيت لعمرو بن معدي كرب، وسلف في تفسير سورة البقرة، عند تفسير الآية (١٢٣) منها.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/ ٢١٥ (قسم التفسير) عن الثلاثة الأوَل، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٢٩ عن الجرجاني، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٠٦.

«سَيذَّكَّر مَن يَخشى» أي: لا يتذكَّر بذكراك إلَّا مَن يخاف، فإنَّ الخوفَ حاملٌ على النَّظَر في الذي يُنجيه ممَّا يخافه، فإذا نَظَرَ قادَهُ النَّظَر والتذكُّر إلى الحقِّ، وهؤلاء هم العلماء والمؤمنون، كلٌّ على قَدرِ ما وفِّق له.

«ويتجنَّبها» أي: الذِّكرى «الأشقى»، أي: البالغ في الشقاوة؛ لأنَّ الكافرَ بالرَّسول ﷺ هو أشقى الكفَّار، كما أنَّ المؤمنَ به وبما جاءَ به هو أفضلُ ممَّن آمَنَ برسول قَبْلَه.

ثم وَصَفَه بما يؤول إليه حالُه في الآخِرَة وهو صَلْي النار، ووصفها بـ«الكُبْرى»، قال الحسن: النَّار الكبرى نارُ الآخِرَة، والصغرى نارُ الدنيا. وقال الفرَّاء: «الكُبرى» السُّفْلى مِن أطباق النار. وقيل: نارُ الآخِرَة تتفاضل، ففيها شيءٌ أكبر مِن شيء[١].

«ثم لا يموتُ» فيستريح «ولا يَحيى» حياةً هنيَّة، وجيء بـ«ثمَّ» المقتضية للتراخي؛ إيذاناً بتفاوت مراتب الشِّدَّة؛ لأنَّ الترددَ بين الحياة والموت أشدُّ وأفظع مِن الصَّلْي بالنار.

«قد أفلح» أي: فازَ وظَفِرَ بالبُغْية، «مِن تزكَّى» مَن تطهَّر، قال ابنُ عبَّاس: مِن الشِّرْك وقال: لا إله إلَّا الله.

وقال الحسن: مَن كان عمله زاكياً.

وقال أبو الأحوص وقتادة وجماعة: مَن رَضَخَ[٢] مِن ماله وزكَّاه[٣].

«وذَكَر اسمَ ربِّه» أي: وَحَّدَهُ لم يَقْرِنه بشيء مِن الأنداد، «فصلَّى» أي: الصلاةَ المفروضةَ وما أمكنه مِن النوافل، والمعنى أنَّه لمَّا تذكَّر آمَنَ بالله، ثمَّ أخبر عنه تعالى أنَّه أفلح مَن أَتَى بهاتين العبادتين الصلاة والزكاة.

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٣٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٧٠، وينظر تفسير الرازي ٣١/ ١٤٩، والنكت والعيون ٦/ ٢٥٤، وقول الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٢٥٦.

(٢) الرَّضْخ: العطاء. تاج العروس (رضخ).

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٠، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٣١-٢٣٢، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٤٣٦، والنكت والعيون ٦/ ٢٥٥، وزاد المسير ٩/ ٩١، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٣١٩-٣٢٠.

واحتجَّ بقوله: «وذَكَر اسمَ ربِّه» على وجوبِ تكبيرة الافتتاح، وعلى أنَّه جائز بكلِّ اسمٍ مِن أسمائه تعالى وأنَّها ليست مِن الصلاة؛ لأنَّ الصلاةَ معطوفةٌ على الذِّكْر الذي هو تكبيرة الافتتاح[١]، وهو احتجاجٌ ضعيف.

وقال ابنُ عباس: «وذَكَر اسمَ ربِّه» أي: معادَه وموقفَه بين يدي ربِّه «فصلَّى» له[٢].

وقرأ الجمهور: «بل تُؤْثِرونَ» بتاء الخطاب للكفَّار، وقيل: خطابٌ للبَرِّ والفاجر، يُؤْثِرها البَرُّ؛ لاقتناء الثواب، والفاجِر؛ لرغبته فيها.

وقرأ عبد الله وأبو رجاء والحسن والجحدريُّ وأبو حيوة وابن أبي عَبْلَة وأبو عمرو والزعفرانيُّ وابنُ مقسم: بياء الغيبة[٣].

«إنَّ هذا» أي: الإخبار بإفلاح مَن تزكَّى وإيثار الناس للدنيا، قاله ابنُ زيد وابنُ جرير، ويُرجَّح بقُرْب المشار إليه بهذا. وقال ابنُ عباس وعكرمة والسُّدِّيُّ: إلى معاني السورة[٤].

وقال الضحاك: إلى القرآن، وقال قتادة: إلى قوله: «والآخِرَة خيرٌ وأبقى»[٥].

«لفي الصُّحُف الأُولى» لم ينسَخ إفلاح مَن تزكَّى «والآخِرَةُ خيرٌ وأبقى» في شرعٍ مِن الشرائع، فهو في الأولى وفي آخِر الشرائع.

---

(١) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٣٣، والكشاف ٤/ ٢٤٥، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٠٩-١٩١٠.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٣٣، والكشاف ٤/ ٢٤٥.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٠، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٣٤، وقراءة أبي عمرو في السبعة ص٦٨٠، والتيسير ص٢٢١، والنشر ٢/ ٤٠٠.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧١، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٣٦، وقول ابنِ زيد والطبريِّ في تفسيره ٢٤/ ٣٢٤-٣٢٥.

(٥) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٣٦، وقول قتادة عند الطبري ٢٤/ ٣٢٤، وقول الضحاك ذكره ابنُ العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٩١٠، وقال: قول ضعيف؛ لأنَّه باطلٌ قطعاً.

وقرأ الجمهور: «الصُّحُف»: بضمِّ الحاء كالحرف الثاني، والأعمش وهارون وعصمة كلاهما عن أبي عمرو: بسكونها[١].

وفي كتاب «اللوامح» العتكيّ[٢] عن أبي عمرو: «الصُّحْف صُحْف» بإسكان الحاء فيهما، لغة تميم.

وقرأ الجمهور: «إبراهِيم» بألف وبياء والهاء مكسورة، وأبو رجاء: بحذفهما والهاء مفتوحة ومكسورة معاً، وأبو موسى الأشعريُّ وابن الزبير: «إبراهام» بألفين في كلِّ القرآن، ومالك بنُ دينار: «إبراهَم» بألف وفتح الهاء وبغير ياء، وعبد الرحمن بن أبي بَكْرة: «إبراهِم» بكسر الهاء وبغير ياء في جميع القرآن[٣].

قال ابنُ خالويه: وقد جاء «إبراهُم» يعني بألف وضمّ الهاء[٤].

وتقدَّم في ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾[٥] الكلامُ على صُحُف إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧١ دون ذِكْر: عصمة.

(٢) في النسخ عدا (ع) و(يه): العبقلي. وهو تحريف. والمراد بالعتكي هارون بن موسى المذكور آنفاً والراوي عن عاصم وابن كثير وأبي عمرو وغيرهم. تنظر ترجمته في غاية النهاية في طبقات القراء.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٧١، والقراءات الشاذة ص١٧٢، وتنظر اللغات الواردة في «إبراهيم» في تفسير سورة البقرة، عند تفسير الآية (١٢٤) منها.

(٤) القراءات الشاذة ص١٧٢.

(٥) عند تفسير الآية (٣٦) و(٣٧) منها.

(٨٧) سورة الأعلى مكية
وآياتها تسع عشرة

روى البخاري، عن البراء بن عازب قال: «أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء حتى قرأت: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ في سور مثلها[1]. وروى مسلم وأهل السنن عن النعمان بن بشير أن النبي ﷺ كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية، وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما[2]، وقد روى الإمام أحمد عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، زادت عائشة: والمعوذتين[3].

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾

عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ قال: ﴿سبحان ربي الأعلى﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿الذي خلق فسوى﴾ أي خلق الخليقة وسوّى كل مخلوق في أحسن الهيئات، وقوله تعالى: ﴿والذي قدّر فهدى﴾، قال مجاهد: هدى الإنسان للشقاوة والسعادة، وهدى الأنعام لمراتعها، وهذه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه.
(٢) أخرجه مسلم وأهل السنن.
(٣) أخرجه الإمام أحمد.
(٤) أخرجه أحمد وأبو داود.

الآية كقوله تعالى ﴿وقال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ أي قدّر قدراً وهدى الخلائق إليه، كما ثبت في صحيح مسلم: «إن الله قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء»[1]. وقوله تعالى: ﴿والذي أخرج المرعى﴾ أي من جميع صنوف النباتات والزروع، ﴿فجعله غثاء أحوى﴾ قال ابن عباس: هشيماً متغيراً، وقوله تعالى: ﴿سنقرئك﴾ أي يا محمد ﴿فلا تنسى﴾ وهذا إخبار من الله تعالى ووعد منه له، بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها ﴿إلا ما شاء الله﴾ وهذا اختيار ابن جرير، وقال ابن قتادة: كان رسول الله ﷺ لا ينسى شيئاً إلا ما شاء الله، وقوله تعالى: ﴿إنه يعلم الجهر وما يخفى﴾ أي يعلم ما يجهر به العباد، وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وقوله تعالى: ﴿ونيسرك لليسرى﴾ أي نسهل عليك أفعال الخير، ونشرع لك شرعاً سهلاً سمحاً، لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر، وقوله تعالى: ﴿فذكِّر إن نفعت الذكرى﴾ أي ذكّر حيث تنفع التذكرة، ومن ههنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله، كما قال علي رضي الله عنه: ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم. وقال: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذّب الله ورسوله؟ وقوله تعالى: ﴿سيذكّر من يخشى﴾ أي سيتعظ بما تبلغه يا محمد من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه، ﴿ويتجنبها الأشقى * الذي يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيى﴾ أي لا يموت فيستريح، ولا يحيى حياة تنفعه بل هي مضرة عليه، لأن بسببها يشعر ما يعاقب به من أليم العذاب وأنواع النكال. عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس تصيبهم النار بذنوبهم - أو قال بخطاياهم - فيميتهم إماتة حتى إذا ما صاروا فحماً أذن في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة فيقال: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة في حميل السيل»[2]، ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾، وقال تعالى: ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى.

قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

يقول تعالى: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ أي طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة، واتبع ما أنزل الله على الرسول صلوات الله وسلامه عليه، ﴿وذكر اسم ربه فصلى﴾ أي أقام الصلاة في أوقاتها ابتغاء رضوان الله وامتثالاً لشرع الله، روي عن جابر بن عبد الله يرفعه ﴿قد أفلح من تزكى﴾ قال: من شهد أن لا إله إلا الله، وخلع الأنداد، وشهد أني رسول الله ﴿وذكر اسم ربه فصلى﴾ قال: «هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها»[3]، وكذا قال ابن عباس إن المراد بذلك الصلوات الخمس، واختاره ابن جرير، وعن عمر بن عبد العزيز أنه

(١) أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً.

(٢) أخرجه أحمد ومسلم.

(٣) أخرجه الحافظ البزار.

كان يأمر الناس بإخراج صدقة الفطر، ويتلو هذه الآية: ﴿قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى﴾، وقال قتادة في هذه الآية: ﴿قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى﴾ زكى ماله وأرضى خالقه، ثم قال تعالى: ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾ أي تقدمونها على أمر الآخرة، وتبدّونها على ما فيه نفعكم وصلاحكم في معاشكم ومعادكم، ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ أي ثواب الله في الدار الآخرة، خير من الدنيا وأبقى، فإن الدنيا دانية فانية، والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى، ويهتم بما يزول عنه قريباً ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له»[1] عن عرفجة الثقفي قال: استقرأت ابن مسعود: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ فلما بلغ ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾ ترك القراءة وأقبل على أصحابه وقال: آثرنا الدنيا على الآخرة، فسكت القوم، فقال: آثرنا الدنيا لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها، وزويت عنا الآخرة، فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل، وهذا منه على وجه التواضع والهضم، وفي الحديث: «من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى»[2]. وقوله تعالى: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى﴾ كقوله في سورة النجم: ﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى * ألا تزر وازرة وزر أُخْرَى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى * وأن إلى ربك المنتهى﴾ الآيات إلى آخرهن؛ وهكذا قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى﴾ يقول: الآيات التي في ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾، وقال أبو العالية: قصة هذه السورة في الصحف الأولى، واختار ابن جرير أن المراد بقوله: ﴿إنّ هذا﴾ إشارة إلى قوله: ﴿قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى﴾، ثم قال تعالى: ﴿إن هذا﴾ أي مضمون هذا الكلام ﴿لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى﴾ وهذا الذي اختاره حسن قوي، وقد روي عن قتادة وابن زيد نحوه، والله أعلم.

[آخر تفسير سورة سبح ؛ ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة]

* * *

(١) أخرجه أحمد عن عائشة مرفوعاً.

(٢) أخرجه أحمد عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً.

تفسير سورة سبح

وهى مكية .

والدليلُ على ذلك ما رواه البخارى : حدثنا عبدان : أخبرنى أبى ، عن شعبة ، عن أبى إسحاق، عن البراء بن عازب قال : أول من قدم علينا من أصحاب النبى ﷺ مصعب بن عمير وابنُ أمّ مكتوم ، فجعلا يُقرئاننا القرآن . ثم جاء عمار وبلال وسعد . ثم جاء عمر بن الخطاب فى عشرين. ثم جاء النبى ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم به ، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون : هذا رسول الله قد جاء ، فما جاء حتى قرأت : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ فى سُوَر مثلها (١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيع ، حدثنا إسرائيل ، عن ثُوَيْر بن أبى فاختَةَ ، عن أبيه ، عن على قال : كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ . تفرد به أحمد (٢) .

وثبت فى الصحيحين : أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ : « هلا صَلّيت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى » (٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر ، عن أبيه ، عن حبيب بن سالم ، عن أبيه ، عن النعمان بن بشير : أن رسول الله ﷺ قرأ فى العيدين بـ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ ، و ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ ، وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعا (٤) .

هكذا وقع فى مسند الإمام أحمد إسناد هذا الحديث . وقد رواه مسلم ــ فى صحيحه ــ وأبو داود والترمذى والنسائى ، من حديث أبى عَوَانة وجرير وشعبة ، ثلاثتهم عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر ، عن أبيه ، عن حبيب بن سالم ، عن النعمان بن بشير ، به (٥). قال الترمذى : « وكذا رواه الثورى ومسعر ، عن إبراهيم ــ قال : ورواه سفيان بن عيينة عن إبراهيم ــ عن أبيه ، عن حبيب بن سالم ، عن أبيه ، عن النعمان . ولا يعرف لحبيب رواية عن أبيه » .

وقد رواه ابن ماجة عن محمد بن الصباح ، عن سفيان بن عيينة ، عن إبراهيم بن المنتشر ، عن أبيه عن حبيب بن سالم ، عن النعمان به (٦) . كما رواه الجماعة ،والله أعلم .

---

(١) صحيح البخارى برقم (٤٩٤١) .

(٢) المسند (١/ ٩٦١) وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٣٦) : « فيه ثوير بن أبى فاختة وهو متروك » .

(٣) صحيح البخارى برقم (٥٠٧) وصحيح مسلم برقم (٤٦٥) .

(٤) المسند (٤/ ٢٧١) .

(٥) صحيح مسلم برقم (٨٧٨) وسنن أبى داود برقم (١١٢٢) وسنن الترمذى برقم (٥٣٣) وسنن النسائى (٣/ ١١٢) .

(٦) سنن ابن ماجة برقم (١٢٨١) .

ولفظ مسلم وأهل السنن: كان يقرأ فى العيدين ويوم الجمعة بـ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾، و﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ ، وربما اجتمعا فى يوم واحد فقرأهما .

وقد روى الإمام أحمد فى مسنده من حديث أبى بن كعب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الرحمن بن أبْزَى ، وعائشة أم المؤمنين : أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى الوتر بـ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ ، و ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ، و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ـ زادت عائشة : والمعوذتين [١] .

وهكذا رُوى هذا الحديث ـ من طريق ـ جابر وأبى أمامَة صُدَىّ بن عجلان ، وعبد الله بن مسعود ، وعمران بن حصين ، وعلى بن أبى طالب ، رضى الله عنهم [٢] . ولولا خشية الإطالة لأوردنا ما تيسر من أسانيد ذلك ومتونه ولكن فى الإرشاد بهذا الاختصار كفاية ، والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى (١) الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ (٦) إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ (٨) فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى (١١) الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ (١٣) ﴾ .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى ـ يعنى ابن أيوب الغافقى ـ حدثنا عمى إياس بن عامر ، سمعت عقبة بن عامر الجهنى لما نزلت : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٧٤ ، ٩٦] ، قال لنا رسول الله ﷺ : « اجعلوها فى ركوعكم » . فلما نزلت : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ قال : « اجعلوها فى سجودكم » .

ورواه أبو داود وابن ماجة ، من حديث ابن المبارك ، عن موسى بن أيوب ، به [٣] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيع ،حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن مسلم البَطِين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ ، قال: « سبحان ربى الأعلى » .

وهكذا رواه أبو داود عن زُهَير بن حرب ، عن وكيع ، به [٤]. وقال : « خولف فيه وكيع ،

(١) حديث أبى بن كعب فى المسند (٥/ ١٢٣) وحديث ابن عباس فى المسند (١/ ٢٩٩) وحديث ابن أبزى فى المسند (٣/ ٤٠٦) وحديث عائشة فى المسند (٦/ ٢٢٧) .

(٢) وقد توسع الحافظ ابن حجر فى ذكر طرق هذا الحديث والكلام عليها فى كتابه تلخيص الحبير (٢/ ١٩) .

(٣) المسند (٤/ ١٥٥) وسنن أبى داود برقم (٨٦٩) وسنن ابن ماجة برقم (٨٨٧) .

(٤) المسند (١/ ٢٣٢) وسنن أبى داود برقم (٨٨٣) .

رواه أبو وكيع وشعبة ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، موقوفا » .

وقال الثوري ، عن السدي ، عن عبد خير قال : سمعت عليا قرأ [١] : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ ، فقال : سبحان ربي الأعلى .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حُمَيد ، حدثنا حكّام عن عَنْبَسة ، عن أبي إسحاق الهَمْداني : أن ابن عباس كان إذا قرأ : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ ، يقول: سبحان ربي الأعلى ، وإذا قرأ : ﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [القيامة:١] فأتى على آخرها : ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ [القيامة: ٤٠] يقول : سبحانك وبلى [٢] .

وقال قتادة : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ : ذُكِرَ لنا أن نَبِيّ الله ﷺ كان إذا قرأها ، قال : «سبحان ربي الأعلى » .

وقوله : ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ أي : خلق الخليقة وسوّى كل مخلوق في أحسن الهيئات .

وقوله : ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ : قال مجاهد : هدى الإنسان للشقاوة والسعادة ، وهدى الأنعام لمراتعها .

وهذه الآية كقوله تعالى إخبارا عن موسى أنه قال لفرعون : ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠] أي : قدر قدرا ، وهدى الخلائق إليه ،كما ثبت في صحيح مسلم ، عن عبد الله ابن عَمرو : أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله قَدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء » [٣] .

وقوله : ﴿ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴾ أي : من جميع صنوف النباتات والزروع ، ﴿ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴾ : قال ابن عباس : هشيما متغيرا . وعن مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد ، نحوه .

قال ابن جرير : وكان بعض أهل العلم بكلام العرب [٤] يرى أن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم ، وأن معنى الكلام : والذي أخرج المرعى أحوى ، أي : أخضر إلى السواد ، فجعله غثاء بعد ذلك . ثم قال ابن جرير : وهذا وإن كان محتملا إلا أنه غير صواب ؛لمخالفته أقوال أهل التأويل.

وقوله : ﴿ سَنُقْرِئُكَ ﴾ أي : يا محمد ﴿ فَلا تَنسَىٰ ﴾ . وهذا إخبار من الله، عز وجل ،ووعد منه له ، بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها ، ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ . وهذا اختيار ابن جرير .

وقال قتادة : كان رسول الله ﷺ لا ينسى شيئا إلا ما شاء الله .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ فَلا تَنسَى ﴾ : طلب ، وجعلوا معنى الاستثناء على هذا ما يقع من

(١) في أ : « يقرأ » .
(٢) تفسير الطبري (٣٠/٩٦) .
(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٣) .
(٤) في أ : « بكلام العربية » .

النسخ، أى : لا تنسى ما نقرئك إلا ما شاء الله رفعه ؛ فلا عليك أن تتركه .

وقوله : ﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾ أى : يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم ، لا يخفى عليه من ذلك شىء .

وقوله تعالى : ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ أى : نسهل عليك أفعال الخير وأقواله ،ونشرع لك شرعا سهلا سمحا مستقيما عدلا ، لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر .

وقوله : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ أى : ذكِّر حيث تنفع التذكرة . ومن هاهنا [1] يؤخذ الأدب فى نشر العلم ، فلا يضعه عند غير أهله ، كما قال أمير المؤمنين على ، رضى الله عنه : ما أنت بمحدِّث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم . وقال : حدِّث الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يُكَذَّب اللهُ ورسوله ؟!

وقوله : ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ أى : سيتعظ بما تبلغه ــ يا محمد ــ من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه ، ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى . الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ . ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ ﴾ أى : لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة تنفعه ،بل هى مضرة عليه ؛ لأن بسببها يشعر ما يعاقب به من أليم العذاب ، وأنواع النكال .

قال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبى عدى ، عن سليمان ــ يعنى التيمى ــ عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « أما أهل النار الذين هم أهلها لا[2] يموتون ولا يحيون ، وأما أناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم فى النار فيدخل عليهم الشفعاء [3] ، فيأخذ الرجلُ أنصاره فينبتهم ــ أو قال : ينبتون ــ فى نهر الحياء ــ أو قال : الحياة ــ أو قال : الحيوان ــ أو قال: نهر الجنة فينبتون ــ نبات الحبَّة فى حميل السيل » . قال : وقال النبى ﷺ : « أما ترون الشجرة تكون خضراء ، ثم تكون صفراء أو قال : تكون صفراء ثم تكون خضراء ؟ » .قال : فقال بعضهم : كأن النبى ﷺ كان بالبادية [4] .

وقال أحمد أيضا : حدثنا إسماعيل، حدثنا سعيد بن يزيد ،عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن أناس ــ أو كما قال ــ تصيبهم النار بذنوبهم ــ أو قال : بخطاياهم ــ فيميتهم إماتة ، حتى إذا صاروا فحما أذن فى الشفاعة ، فجىء بهم ضبائر ضبائر ، فَنَبتوا على أنهار الجنة ، فيقال : يا أهل الجنة ، اقبضوا عليهم . فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل » . قال : فقال رجل من القوم حينئذ : كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية .

ورواه مسلم فى حديث بشر بن المفضل [5] وشعبة ، كلاهما عن أبى مَسْلَمة سعيد بن زيد ، به

(١) فى م : « ومن هذا » . (٢) فى أ : « فإنهم لا » . (٣) فى أ : « الشفاعة » .
(٤) المسند (٣/ ٥) .
(٥) فى أ : « الفضل » .

مثله [١]. ورواه أحمد أيضا عن يزيد ، عن سعيد بن إياس الجريرى ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد، عن النبى ﷺ قال : « إن أهل النار الذين لا يريد الله إخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، وإن أهل النار الذين يريد الله إخراجهم يميتهم فيها إماتة ، حتى يصيروا فحماً ، ثم يخرجون ضبائر فيلقون على أنهار الجنة ، أو : يرش [٢] عليهم من أنهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبَّة فى حَميل السيل» [٣] .

وقد قال الله إخبارا عن أهل النار : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٧] ، وقال تعالى : ﴿ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر: ٣٦] . إلى غير ذلك من الآيات فى هذا المعنى .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧) إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩) ﴾ .

يقول تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ﴾ أى : طهَّر نفسه من الأخلاق الرذيلة ، وتابع ما أنزل الله على رسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾ أى : أقام الصلاة فى أوقاتها ؛ ابتغاء رضوان الله وطاعة لأمر الله وامتثالا لشرع الله . وقد قال الحافظ أبو بكر البزار :

حدثنا عباد بن أحمد العرزمى ، حدثنا عمى محمد بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن عطاء بن السائب ،عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبى ﷺ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾، قال : « من شهد أن لا إله إلا الله ، وخلع الأنداد ، وشهد أنى رسول الله » ، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾ قال : « هى الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها » .

ثم قال[٤]: لا يروى عن جابر إلا من هذا الوجه [٥] .

وكذا قال ابن عباس : إن المراد بذلك الصلوات الخمس . واختاره ابن جرير .

وقال ابن جرير : حدثنى عَمرو بن عبد الحميد الآملى [٦] ، حدثنا مروان بن معاوية ،عن أبى خلدة قال: دخلت على أبى العالية فقال لى : إذا غدوت غداً إلى العيد فمرّ بى . قال : فمررت به فقال: هل طعمت شيئا ؟ قلت: نعم. قال: أفضت على نفسك من الماء؟ قلت: نعم . قال : فأخبرنى ما فعلت بزكاتك ؟ قلت : وكأنك قُلت : قد وَجّهتهَا ؟ قال : إنما أردتك لهذا . ثم قرأ : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾. وقال: إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية الماء .

---

(١) المسند (٣/ ١١) وصحيح مسلم برقم (١٨٥) .
(٢) فى م : « فيرش » .
(٣) المسند (٣/ ٢٠) .
(٤) فى م : « وقال » .
(٥) مسند البزار برقم (٢٢٨٤) « كشف الأستار » وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٣٧) :« رواه البزار عن شيخه عباد بن أحمد العرزمى وهو متروك » .
(٦) فى أ : « الأيلى » .

قلت : وكذلك روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس بإخراج صدقة الفطر، ويتلو هذه الآية ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ .

وقال أبو الأحوص : إذا أتى أحدكم سائل وهو يريد الصلاة ، فليقدم بين يدى صلاته زكاته ، فإن الله يقول : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ .

وقال قتادة فى هذه الآية ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ :زكى ماله وأرضى خالقه.

ثم قال تعالى : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ أى : تقدمونها على أمر الآخرة ، وتبدونها على ما فيه نفعهم وصلاحهم فى معاشهم ومعادهم ، ﴿ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ أى : ثواب الله فى الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى ، فإن الدنيا دنيَّة فانية ، والآخرة شريفة باقية ، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى ، ويهتم بما يزول عنه قريبا ، ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد ؟!

قال الإمام أحمد : حدثنا حُسَين بن محمد ، حدثنا ذُوَيد ، عن أبى إسحاق ، عن عُرْوَة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « الدنيا دَارُ من لا دارَ له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له » (١) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا أبو حمزة ، عن عطاء ، عن عَرْفَجة الثقفى قال : استقرأت ابن مسعود : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ فلما بلغ : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ ترك القراءة ، وأقبل على أصحابه وقال : آثرنا الدنيا على الآخرة . فسكت القوم ، فقال : آثرنا الدنيا لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها ، وزُويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل (٢) .

وهذا منه على وجه التواضع والهضم ، أو هو إخبار عن الجنس من حيث (٣) هو ، والله أعلم.

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود الهاشمى ، حدثنا إسماعيل بن جعفر ، أخبرنى عمرو بن أبى عمرو ، عن المطلب بن عبد الله ، عن أبى موسى الأشعرى : أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومَن أحبّ آخرته أضرّ بدنياه ، فآثروا ما يبقَى على ما يفنى » . تفرد به أحمد .

وقد رواه أيضا عن أبى سلمة الخزاعى ، عن الدراوردى ، عن عمرو بن أبى عمرو ، به مثله سواء (٤) .

وقوله : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ : قال الحافظ أبو بكر البزار :

---

(١) المسند (٦/ ٧١) وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٢٨٨) : « رجاله رجال الصحيح غير ذويد وهو ثقة » .
(٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٠٠) .
(٣) فى أ : « من جنسه » .
(٤) المسند (٤/ ٤١٢) ورواه ابن حبان فى صحيحه برقم (٢٤٧٣) « موارد » من طريق يعقوب بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن أبى عمرو به .

حدثنا نصر بن على ، حدثنا مُعتمر بن سليمان ، عن أبيه عن عطاء بن السائب ، عن عكْرِمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ قال النبى ﷺ: « كان كل هذا ــ أو : كان هذا ــ فى صحف إبراهيم وموسى » [١] .

ثم قال : لا نعلم أسند الثقات عن عطاء بن السائب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس غير [٢] هذا، وحديثا آخر أورده قبل هذا .

وقال النسائى : أخبرنا زكريا بن يحيى ، أخبرنا نصر بن على ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن عطاء بن السائب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ قال : كلها فى صحف إبراهيم وموسى ، فلما نزلت : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّىٰ ﴾ [النجم:٣٧] قال : وفَّى ﴿ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [النجم:٣٨] [٣] .

يعنى أن هذه الآية كقوله فى سورة « النجم »: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ . وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّىٰ . أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ . وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ. ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ . وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: ٣٦ : ٤٢] . . . الآيات إلى آخرهن. وهكذا قال عكرمة ــ فيما رواه ابن جرير ، عن ابن حميد ، عن مهْران ، عن سفيان الثورى ، عن أبيه ، عن عكرمة ــ فى قوله : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ ، يقول : الآيات التى فى سبح اسم ربك الأعلى .

وقال أبو العالية : قصة هذه السورة فى الصحف الأولى .

واختار ابن جرير أن المراد بقوله : ﴿ إِنَّ هَذَا ﴾ إشارة إلى قوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ . بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ ، ثم قال : ﴿إِنَّ هَذَا ﴾ أى : مضمون هذا الكلام ﴿ لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [٤] .

وهذا اختيار حسن قوى . وقد رُوى عن قتادة وابن زيد ، نحوُه . والله أعلم .

آخر تفسير سورة « سبح » ولله الحمد والمنة

---

(١) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٦٨) .

(٢) فى أ : « نحو » .

(٣) مسند البزار برقم (٢٢٨٥) « كشف الأستار » وقال الهيثمى فى المجمع (٧/١٣٧) : « فيه عطاء بن السائب وقد اختلط ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

(٤) تفسير الطبرى (٣٠/١٠١) .

[تفسير] سورة « سبح »

[وهي مكية]

والدليل علىٰ ذلك ما رواه البخاري(١) ، حدثنا عبدان : أخبرني[١] أبي ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب قال : أول من قدم علينا من أصحاب النبيِّ صلىٰ اللَّه عليه وسلم مصعب بن عمير ، وابن أم مكتوم ، فجعلا يقرئاننا القرآن . ثم جاء عمار وبلال وسعد . ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين . ثم جاء النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به ، حتىٰ رأيت الولائد والصبيان يقولون : هذا رسول اللَّه قد جاء ، فما جاء حتىٰ قرأت : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ في سور مثلها .

وقال الإمام أحمد(٢) : حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن ثوير[٢] بن أبي فاختة ، عن أبيه ، عن علي ؛ قال : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يحب هذه السورة : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ . تفرد به أحمد ، وثبت في الصحيحين(٣) : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال لمعاذ : « **هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلىٰ . والشمس وضحاها . والليل إذا يغشىٰ** » .

وقال الإمام أحمد(٤) : حدثنا سفيان ، عن إبراهيم ، عن محمد بن المنتشر ، عن أبيه ، عن حبيب بن سالم ، عن أبيه ، عن النعمان بن بشير أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قرأ في العيدين : بـ ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ ، و ﴿ **هل أتاك حديث الغاشية** ﴾ ، وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعًا .

هكذا وقع في مسند الإمام أحمد إسناد هذا الحديث . وقد رواه مسلم(٥) - في صحيحه - وأبو داود والترمذي والنسائي ، من حديث أبي عوانة وجرير وشعبة ، ثلاثتهم عن [إبراهيم

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير، باب : سورة ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ ، حديث (٤٩٤١) (٨/ ٦٩٩ - ٧٠٠) .

(٢) المسند (٩٦/١) (٧٤٢) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٣٩/٧) : رواه أحمد وفيه ثوير بن أبي فاختة وهو متروك .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : من شكا إمامه إذا طول ، حديث (٧٠٥) (٢٠٠/٢) . ومسلم في كتاب : الصلاة ، باب : القراءة في العشاء ، حديث (١٧٨ ، ٤٦٥/١٧٩) (٢٤٠/٤ - ٢٤٢). كلاهما من حديث جابر - رضي الله عنه - بنحوه .

(٤) المسند (٢٧١/٤) (١٨٤٣٤) .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب : الجمعة ، باب : ما يقرأ في صلاة الجمعة ، حديث (٨٧٨/٦٢) (٢٣٧/٦) . وأبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : ما يقرأ به في الجمعة ، حديث (١١٢٢) (٢٩٣/١) . والترمذي =

---

[١] - في ز ، خ : ثنا . [٢] - في ز : ثور .

ابن[١] محمد بن المنتشر ، عن أبيه ، عن حبيب بن سالم ، عن النعمان بن بشير ، به .

قال الترمذي : « **وكذا رواه الثوري ومسعر ، عن إبراهيم – قال : ورواه سفيان بن عيينة عن إبراهيم – عن أبيه ، عن حبيب بن سالم ، عن أبيه ، عن النعمان . ولا يعرف لحبيب رواية عن[٢] أبيه** » .

وقد رواه ابن ماجة(٦) عن محمد بن الصباح ، عن سفيان بن عيينة ، عن إبراهيم بن المنتشر ، عن أبيه ، عن حبيب بن سالم ، عن النعمان به . كما رواه الجماعة ، والله أعلم. ولفظ مسلم وأهل السنن : كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة ، بـ ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ ، و ﴿ **هل أتاك حديث الغاشية** ﴾ ، وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما .

وقد روىٰ الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بن كعب(٧) ، وعبد الله بن عباس(٨) ، وعبد الرحمن بن أبزىٰ(٩) ، وعائشة أم المؤمنين(١٠) : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يقرأ في الوتر بـ : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ ، و ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ ، و ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ . زادت عائشة : والمعوذتين .

وهكذا روي هذا الحديث من طريق جابر وأبي أمامة صدي بن عجلان ، وعبد الله بن مسعود ، وعمران بن حصين ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم . ولولا خشية الإطالة لأوردنا ما تيسر لنا من أسانيد ذلك ومتونه ولكن في الإرشاد بهذا الاختصار كفاية ، والله أعلم .

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ
أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ

= في كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في القراءة في العيدين ، حديث (٥٣٣) (١٥٠/٢) . والنسائي (٣/ ١١٢) كتاب الجمعة ، باب : ذكر الاختلاف على النعمان بن بشير في القراءة في صلاة الجمعة .

(٦) سنن ابن ماجة ، كتاب : الإقامة ، باب : ما جاء في القراءة في صلاة العيدين ، حديث (١٢٨١) (١/ ٤٠٨).

(٧) المسند (١٢٣/٥) (٢١٢٢٢) من طريق عبد الرحمن بن أبزى عنه به .

(٨) المسند (٢٩٩/١ ، ٣٠٠) (٢٧٢٠ ، ٢٧٢٥) وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٩) المسند (٤٠٦/٣) (١٥٣٩٣ ، ١٥٣٩٤) .

(١٠) المسند (٢٢٧/٦) (٢٦٠١٥) .

[١] – سقط من ز . [٢] – في ز : من .

﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ۝١١ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ۝١٣﴾

قال الإمام أحمد(١١) : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسىٰ - يعني ابن أيوب الغافقي - حدثنا عمي إياس بن عامر ، سمعت عقبة بن عامر الجهني لما نزلت : ﴿ **فسبح باسم ربك العظيم** ﴾ ، قال لنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **اجعلوها في ركوعكم** » . فلما نزلت : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ ، قال : « **اجعلوها في سجودكم** » ورواه أبو داود ، وابن ماجة من حديث ابن المبارك ، عن موسى بن أيوب به .

وقال الإمام أحمد(١٢) : حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان إذا قرأ : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ ، قال : « **سبحان ربي الأعلىٰ** » .

وهكذا رواه أبو داود(١٣) عن زهير بن حرب ، عن وكيع به . وقال : خولف فيه وكيع ، رواه أبو وكيع وشعبة ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، موقوفًا .

وقال الثوري(١٤) ، عن السدي ، عن عبد خير قال : سمعت عليًا قرأ : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ ، فقال : سبحان ربي الأعلىٰ .

وقال ابن جرير(١٥) : حدثنا ابن[١] حميد ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبي إسحاق الهمداني : أن ابن عباس كان إذا قرأ : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ ، يقول : سبحان ربي الأعلىٰ ، وإذا قرأ : ﴿ **لا أقسم بيوم القيامة** ﴾ فأتىٰ علىٰ آخرها : ﴿ **أليس ذلك بقادر علىٰ أن**

---

(١١) المسند (٤/١٥٥) (١٧٤٦١) . وأخرجه أبو داود في كتاب : الصلاة ، باب : ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ، حديث (٨٦٩) (١/٢٣٠) . وابن ماجة في كتاب : الإقامة ، باب : التسبيح في الركوع والسجود ، حديث (٨٨٧) (١/٢٨٧) . وضعفه الألباني في الإرواء (٢/٤٠) (٣٣٤) .

(١٢) المسند (١/٢٣٢) (٢٠٦٦) .

(١٣) سنن أبي داود في كتاب : الصلاة ، باب : الدعاء في الصلاة ، حديث (٨٨٣) (١/٢٣٣) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٨٥) .

(١٤) أخرجه الطبري (٣٠/١٥١) .

(١٥) تفسير الطبري (٣٠/١٥١) .

---

[١] - في ز : أبو .

يحيي الموتىٰ ﴾ ، يقول : سبحانك وبلىٰ .

وقال قتادة(١٦) : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ : ذكر لنا أن نبىٰ اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان إذا قرأها ، قال : « **سبحان ربي الأعلىٰ** » .

وقوله : ﴿ **الذي خلق فسوىٰ** ﴾ ، أي : خلق الخليقة وسوىٰ كل مخلوق في أحسن الهيئات .

وقوله : ﴿ **والذي قدر فهدىٰ** ﴾ قال مجاهد : هدىٰ الإنسان للشقاوة[١] والسعادة ، وهدىٰ الأنعام لمراتعها .

وهذه الآية كقوله تعالىٰ إخبارًا عن موسىٰ أنه قال لفرعون : ﴿ **ربنا الذي أعطىٰ كل شيء خلقه ثم هدىٰ** ﴾ ، أي : قدر قدرًا ، وهدىٰ الخلائق إليه ، كما ثبت في صحيح مسلم ، عن عبد اللّٰه بن عمرو : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن اللّٰه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه علىٰ الماء** » .

وقوله : ﴿ **والذي أخرج المرعىٰ** ﴾ ، أي : من جميع صنوف النباتات والزروع ، ﴿ **فجعله غثاءً أحوىٰ** ﴾ ، قال ابن عباس : هشيمًا متغيرًا . وعن مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد ، نحوه .

قال ابن جرير : وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرىٰ أن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم ، وأن معنىٰ الكلام : والذي أخرج المرعىٰ ، أحوىٰ ، أي : أخضر إلىٰ السواد ، فجعله غثاء بعد ذلك . ثم قال ابن جرير : وهذا وإن كان محتملًا إلا أنه غير صواب ؛ لمخالفته أقوال أهل التأويل .

وقوله : ﴿ **سنقرئك** ﴾ - أي : يا محمد - ﴿ **فلا تنسىٰ** ﴾ . وهذا إخبار من اللّٰه - عز وجل - ووعد منه له . بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها ، ﴿ **إلا ما شاء اللّٰه** ﴾ . وهذا اختيار ابن جرير .

وقال قتادة(١٧) : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينسىٰ شيئًا إلّا ما شاء الله .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ **فلا تنسىٰ** ﴾ طلب ، وجعلوا معنىٰ الاستثناء علىٰ هذا ما يقع من النسخ ، أي : لا تنسىٰ ما نقرئك إلا ما يشاء اللّٰه رفعه ، فلا عليك أن تتركه .

---

(١٦) أخرجه الطبري (١٥١/٣٠) .

(١٧) أخرجه مسلم في كتاب : القدر ، باب : حجاج آدم وموسى - عليهما السلام - حديث (٢٦٥٣/١٦) (٣١٠/١٦) .

---

[١] - في ز : للشقوة .

وقوله : ﴿ **إنه يعلم الجهر وما يخفىٰ** ﴾ أي : يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم ، لا يخفىٰ عليه من ذلك شيء .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ونيسرك لليسرىٰ** ﴾ أي : نسهّل عليك أفعال الخير وأقواله ، ونشرع لك شرعًا سهلًا سمحًا مستقيمًا عدلًا ، لا اعوجاج فيه ولا حرج ، ولا عسر .

وقوله : ﴿ **فذكر إن نفعت الذكرىٰ** ﴾ ، أي : ذكر حيث تنفع التذكرة . ومن هاهنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله ، كما قال أمير المؤمنين علي(١٨) - رضي الله عنه - : ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم . وقال(١٩) : حدث الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله .

وقوله : ﴿ **سيذكر من يخشىٰ** ﴾ ، أي : سيتعظ بما تبلغه - يا محمد - من قلبه يخشىٰ الله ويعلم أنه ملاقيه ، ﴿ **ويتجنبها الأشقىٰ . الذي يصلىٰ النار الكبرىٰ . ثم لا يموت فيها ولا يحيىٰ** ﴾ ، أي : لا يموت فيستريح ولا يحيىٰ حياة تنفعه[١] ، بل هي مضرة عليه ، لأن بسببها يشعر ما يعاقب به من أليم العذاب ، وأنواع النكال .

قال الإمام أحمد(٢٠) : حدثنا ابن أبي عدي ، عن سليمان - يعني التيمي - عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون ، وأما أناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم في النار فيدخل عليهم الشفعاء ، فيأخذ الرجل أنصاره[٢] فينبتهم - أو قال : ينبتون - في نهر [الحياء - أو قال][٣] : الحياة - أو قال : الحيوان - أو قال : نهر الجنة فينبتون - نبات الحبة في حميل السيل** » - قال : وقال : النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما ترون الشجرة تكون خضراء ، ثم تكون صفراء ، [أو قال : تكون صفراء][٤] ، ثم تكون خضراء ؟** » - قال : فقال

---

(١٨) أخرجه مسلم في « مقدمة الصحيح » (١١٣/١) لكن الذي في مسلم من حديث ابن مسعود وليس من حديث علي - رضي الله عنهما - .

(١٩) أخرجه البخاري في كتاب : العلم ، باب : من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا ، حديث (١٢٧) (٢٢٥/١) من حديث علي .

(٢٠) أخرجه أحمد (٥/٣) (١١٠٢٩) . وأخرجه ابن منده في « الإيمان » (٨٢٦) من طريق محمد بن بشار ثنا محمد بن إبراهيم بن أبي عدى به . وأخرجه أيضًا - (٨٢٤ ، ٨٢٥) . وعبد بن حميد في المنتخب (٨٦٥) . من طرق ثلاثة عن سليمان التيمي به .

وأخرجه مسلم - كتاب الإيمان ، باب : إثبات الشفاعة ... (٣٠٦،٣٠٧) - (١٨٥) . وابن ماجه - كتاب الزهد ، باب : ذكر الشفاعة - (٤٣٠٩) .

---

[١] - في ز : فتنفعه .

[٢] - في ز : الصارة .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - سقط من ز ، خ .

بعضهم : كأن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان بالبادية .

وقال أحمد أيضًا(٢١) : حدثنا إسماعيل ، حدثنا سعيد بن يزيد ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن أناس - أو كما قال - تصيبهم النار بذنوبهم - أو قال : بخطاياهم - فيميتهم إماتة ، حتىٰ إذا صاروا فحمًا أذن في الشفاعة ، فجيء بهم ضبائر ضبائر ، فنبتوا[١] علىٰ أنهار الجنة ، فيقال : يا أهل الجنة ، أفيضوا عليهم . فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل** » . قال : فقال رجل من القوم حينئذ : كأن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان [في البادية][٢] .

ورواه مسلم من حديث بشر بن[٣] المفضل وشعبة ، كلاهما[٤] عن أبي مسلمة[٥] سعيد بن يزيد ، به مثله .

ورواه أحمد[٦] (٢٢) أيضًا عن يزيد ، عن سعيد بن إياس الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن أهل النار الذين لا يريد اللّٰه إخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، وإن أهل النار الذين يريد اللّٰه إخراجهم يميتهم فيها إماتة ، حتىٰ يصيروا فحمًا ، ثم يخرجون ضبائر فيلقون علىٰ أنهار الجنة ، [أو : يرش عليهم من أنهار الجنة][٧] ؛ فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل** .

وقد قال الله إخبارًا عن أهل النار: ﴿**ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون**﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **لا يقضىٰ عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها** ...﴾ .

إلىٰ غير ذلك من الآيات في هذا المعنىٰ .

قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾
وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ

(٢١) المسند (٣/١١) (١١٠٩١) . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ، حديث (٣٠٦ ، ١٨٥/٣٠٧) (٣/٤٦ - ٤٨) .
(٢٢) المسند (٣/٢٠) (١١١٦٥) .

[١] - في خ : فينبتون .
[٢] - في ت : بالبادية .
[٣] - في ز : أبو .
[٤] - في ت : كليهما .
[٥] - في ز ، خ : مسلم .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - سقط من ز ، خ .

وَمُوسَىٰ ⁽١٩⁾

يقول تعالىٰ : ﴿ **قد أفلح من تزكىٰ** ﴾ ، أي : طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة ، وتابع ما أنزل الله علىٰ الرسول صلوات الله وسلامه عليه ﴿ **وذكر اسم ربه فصلىٰ** ﴾ ، أي : أقام الصلاة في أوقاتها ، ابتغاء رضوان الله وطاعة لأمر الله وامتثالًا لشرع الله . وقد قال الحافظ أبو بكر البزّار(٢٣) :

حدثنا عباد بن أحمد العرزمي ، حدثنا عمي محمد بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن عطاء ابن السائب ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **قد أفلح من تزكىٰ** ﴾ ، قال : « **من شهد أن لا إله إلا الله ، وخلع الأنداد ، وشهد أني رسول الله** » ، ﴿ **وذكر اسم ربه فصلىٰ** ﴾ ، قال : « **هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها** » .

ثم قال : لا يروىٰ عن جابر إلّا من هذا الوجه .

وكذا قال ابن عباس : إن المراد بذلك الصلوات الخمس . واختاره ابن جرير .

وقال ابن جرير : حدثني عمرو بن عبد الحميد الآملي[١] ، حدثنا مروان بن معاوية ، عن أبي خلدة قال : دخلت علىٰ أبي العالية فقال لي : إذا غدوت غدًا إلىٰ العيد فمر بي . قال : فمررت به فقال : هل طعمت شيئًا ؟ قلت : نعم . قال : أفضت علىٰ نفسك من الماء ؟ قلت : نعم . قال : فأخبرني ما فعلت [بزكاتك ؟ قلت][٢] : وكأنك قلت : قد وجهتها ؟ قال : إنما أردتك لهذا . ثم قرأ : ﴿ **قد أفلح من تزكىٰ * وذكر اسم ربه فصلىٰ** ﴾ . وقال : إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية الماء .

قلت : وكذلك[٣] روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس بإخراج صدقة الفطر ، ويتلو هذه الآية ﴿ **قد أفلح من تزكىٰ * وذكر اسم ربه فصلىٰ** ﴾ .

وقال أبو الأحوص : إذا أتىٰ أحدكم سائل وهو يريد الصلاة ، فليقدم بين يدي صلاته زكاته ، فإن الله يقول : ﴿ **قد أفلح من تزكىٰ * وذكر اسم ربه فصلىٰ** ﴾ .

وقال قتادة في هذه الآية : ﴿ **قد أفلح من تزكىٰ ، وذكر اسم ربه فصلىٰ** ﴾ : زكىٰ ماله ،

(٢٣) كشف الأستار (١١٧/٢) (١٥٢٩) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٤٠/٧) : رواه البزار عن شيخه عباد ابن أحمد العرزمي وهو متروك .

[١] - في ز ، خ : الأيلي .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في خ : وقد .

وأرضىٰ خالقه .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا** ﴾ ، أي : تقدمونها علىٰ أمر الآخرة ، وتبدونها علىٰ ما فيه نفعهم وصلاحهم في معاشهم ومعادهم ، ﴿ **والآخرة خير وأبقىٰ** ﴾ ، أي : ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقىٰ ، [فإن الدنيا][1] دنية فانية ، والآخرة شريفة باقية ، فكيف يؤثر عاقل ما يفنىٰ علىٰ ما يبقىٰ ، ويهتم بما يزول عنه قريبًا ، ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد .

قال الإمام أحمد(٢٤): حدثنا حسين بن محمد، حدثنا ذويد عن أبي إسحاق، عن عروة، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له** » .

وقال ابن جرير (٢٥): حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيىٰ بن واضح ، حدثنا[2] أبو حمزة ، عن عطاء ، عن عرفجة الثقفي قال : استقرأت ابن مسعود : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ فلما بلغ : ﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا** ﴾ ترك القراءة ، وأقبل علىٰ أصحابه وقال[3] : آثرنا الدنيا علىٰ الآخرة . فسكت القوم ، فقال : آثرنا الدنيا لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها ، وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل .

وهذا منه علىٰ وجه التواضع والهضم ، أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو ، والله أعلم .

و[قد][4] قال الإمام أحمد(٢٦) : حدثنا سليمان بن داود الهاشمي ، حدثنا إسماعيل بن جعفر ، أخبرني عمرو بن أبي عمرو ، عن المطلب بن عبد الله ، عن أبي موسىٰ الأشعري : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه ، فآثروا ما يبقىٰ[5] علىٰ ما يفنىٰ** » تفرد به أحمد .

---

(٢٤) تقدم تخريجه في سورة الإسراء ، آية (١٨) . وفي سورة النجم ، آية (٢٩) .

(٢٥) أخرجه الطبري (١٥٧/٣٠) .

(٢٦) أخرجه أحمد (٤١٢/٤) (١٩٧٥١) . والحاكم (٣٠٨/٤، ٣١٩) . والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٢٣٨-١٣٩) حديث (٤٠٣٨) . وابن حبان (٤٨٦/٢) حديث (٧٠٩) . والبيهقي في الشعب (٧/ ٢٨٨) حديث (١٠٣٣٧) . والقضاعي في مسند الشهاب (٢٥٨/١-٢٥٩) . حديث (٤١٨) . والبيهقي في الكبرى (٣٧٠/٣) كتاب الجنائز ، باب : ما ينبغي لكل مسلم أن يستعمله من قصر الأمل والاستعداد للموت فإن الأمر قريب . كلهم من طريق عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبي موسى - رضي الله عنه - ... فذكره . قال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه=

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : فقال .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : بقي .

وقد رواه أيضًا(٢٧) عن أبي سلمة[١] الخزاعي ، عن الدراوردي ، عن عمرو بن أبي عمرو ، به مثله سواء .

وقوله : ﴿ **إن هذا لفي الصحف الأولىٰ * صحف إبراهيم وموسىٰ** ﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار (٢٨):

حدثنا نصر بن علي ، حدثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه عن عطاء بن السائب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ **إن هذا لفي الصحف الأولىٰ صحف إبراهيم وموسىٰ** ﴾ - قال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **كان كل هذا - أو : كان هذا - في صحف إبراهيم وموسىٰ** » .

ثم قال : لا نعلم أسند الثقات عن عطاء بن السائب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس غير هذا ، وحديثًا آخر أورده قبل هذا .

وقال النسائي(٢٩) : أخبرنا زكريا بن يحيىٰ ، أخبرنا نصر بن علي ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن عطاء بن السائب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلىٰ** ﴾ ، قال : كلها في صحف إبراهيم وموسىٰ . فلما نزلت : ﴿ **وإبراهيم الذي وفىٰ** ﴾ قال : وفَّى ﴿ **ألا تزر وازرة وزر أخرىٰ** ﴾ .

يعني أن هذه الآية كقوله في « سورة النجم » ﴿ **أم لم ينبأ بما في صحف موسىٰ * وإبراهيم الذي وفى * ألا تزر وازرة وزر أخرىٰ * وأن ليس للإنسان إلا ما سعىٰ * وأن سعيه سوف يرىٰ * ثم يجزاه الجزاء الأوفىٰ * وأن إلىٰ ربك المنتهىٰ** ...﴾ الآيات إلىٰ آخرهن .

وهكذا قال عكرمة - فيما رواه ابن جرير(٣٠) ، عن ابن حميد ، عن مهران ، عن سفيان الثوري ، عن أبيه ، عن عكرمة - في قوله : ﴿ **إن هذا لفي الصحف الأولىٰ * صحف**

= وتعقبه الذهبي بأن فيه انقطاع . قال الهيثمي في « المجمع » (٢٥٢/١٠) : رواه أحمد والبزار والطبراني ورجالهم ثقات . وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١٨٥٣/٤) (٢٩٣٨) : وهو منقطع بين المطلب ابن عبد الله وبين أبي موسى .

قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢٥٢/١٠) : رواه أحمد والبزار والطبراني ورجالهم ثقات .

(٢٧) المسند (٤١٢/٤) (١٩٧٥٢) .

(٢٨) كشف الأستار (١١٧/٢) (١٥٣٠) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٤٠/٧) : رواه البزار وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٢٩) سنن النسائي الكبرى ، كتاب : التفسير ، باب : سورة الأعلى ، حديث (١١٦٦٨) (٥١٣/٦).

(٣٠) تفسير الطبري (١٥٨/٣٠) .

---

[١] - في ز ، خ : مسلم .

إبراهيم وموسىٰ ﴾ ، يقول : الآيات التي في سبح اسم ربك الأعلىٰ .

وقال أبو العالية : قصة هذه السورة في الصحف الأولىٰ . واختار ابن جرير أن المراد بقوله : **﴿ إن هذا ﴾** إشارة إلىٰ قوله : **﴿ قد أفلح من تزكىٰ وذكر اسم ربه فصلىٰ بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقىٰ ﴾** ، ثم قال : **﴿ إن هذا ﴾** ، أي : مضمون هذا الكلام **﴿ لفي الصحف الأولىٰ . صحف إبراهيم وموسىٰ ﴾**

وهذا اختيارٌ حسن قوي ، وقد روي عن قتادة وابن زيد نحوه ، والله أعلم .

[آخر تفسير سورة « سبح » ، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة] .

سورة الأعلى

مكّيّة، وهي تسعَ عشرةَ آيةً.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ① ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ② وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ③ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ④ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ⑤﴾

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ أي: نزِّه اسمه عزّ وجلّ عن الإلحاد فيه بالتأويلات الزائغة، وعن إطلاقه على غيره بوجه يُشعِر بتشاركهما فيه، وعن ذِكره لا على وجه الإعظام والإجلال. و﴿ٱلۡأَعۡلَى﴾ إمّا صفة للربّ، وهو الأظهرُ، أو للاسم. وقُرئ: "سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى".[1] وفي الحديث: لمّا نزلت ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة، ٧٤/٥٦] قال عليه السلام: «اجعلوها في ركوعكم»، فلمّا نزل ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ قال: «اجعلوها في سجودكم».[2] وكانوا يقولون في الركوع: «اللّٰهمّ لك ركعتُ»، وفي السجود: «اللّٰهمّ لك سجدتُ».[3]

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ صفة أخرى للربّ على الوجه الأوّل، ومنصوب على المدح على الثاني، لئلّا يلزَم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره، أي: خلق كلّ شيء فسوّى خَلْقه، بأن جَعَل له ما به يتأتّى كماله ويتسنّى معاشه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ﴾ إمّا صفة أخرى للربّ كالموصول الأوّل، أو معطوف عليه، وكذا حال ما بعده، أي: قدّر أجناسَ الأشياء وأنواعها وأفرادها

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن عليّ بن أبي طالب وعمرَ بن الخطّاب وأُبيّ بن كعب. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٧٢؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٥١٠؛ المغني في القراءات للنّوْزاوازي، ص ١٩١١.

٢ مسند أحمد، ٦٣٠/٢٨ (١٧٤١٤)؛ سنن ابن ماجه، ٥٧/٢ (٨٨٧)؛ سنن أبي داود، ١٥١/٢ (٨٦٩)؛ معالم التنزيل للبغوي، ٢٧/٨ (الواقعة، ٩٦/٥٦)؛ الكشّاف للزمخشري، ٥٥٤/٤.

٣ طرف حديث في مسند أحمد، ١٣٢/٢ (٧٢٩)؛ وسنن أبي داود، ٧٣/٢ (٧٦٠)؛ وسنن الترمذي، ٤٨٥/٥ (٣٤٢١)؛ وبلفظه في الكشّاف للزمخشري، ٥٥٤/٤.

ومقاديرها وصفاتِها وأفعالها وآجالها. ﴿فَهَدَىٰ﴾ أي: فوجّه كلّ واحد منها إلى ما يصدر عنه وينبغي له طبعًا واختيارًا، ويسّره لِما خُلِق له بخَلْق الميول والإلهامات ونَصْب الدلائل وإنزال الآيات. ولو تتبّعتَ أحوال النباتات والحيوانات لرأيتَ في كلّ منها ما يحار فيه العقول.

يُحكى أنّ الأفعى إذا بلغت ألف سنةٍ عميَت وقد ألهمها الله تعالى أنّ مَسْح عينها بورقِ الرَّازِيانج الغضّ يردّ إليها بصرها، فربّما كانت عند عُروض العمى لها في بَرّيّة بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها حتّى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرَّازِيانج لا تخطئها فتحكّ عينها بورقها، وترجع باصرةً بإذن الله عزّ وجلّ.

[٢٩١و] ويروى أنّ التمساح لا يكون له دُبر وإنّما يُخرِج فضلاتِ ما يأكله / مِن فمه حيث قيّض الله تعالى له طائرًا قُدِّر غذاؤه مِن ذلك، فإذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فيأكل ما فيه، وقد خَلَق الله تعالى له مِن فوق منقاره ومن تحته قَرْنَين لئلّا يُطبق عليه التمساح فمَه.

هذا وأمّا فنون هداياته سبحانه وتعالى للإنسان مِن حيث الجسميّةُ ومن حيث الحيوانيّةُ لا سيّما مِن حيث الإنسانيّةُ فممّا لا يحيط به فَلَك العبارةِ والتحريرِ ولا يعلمه إلّا العليم الخبير.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ أي: أنبت ما يرعاه الدوابّ غضًّا طريًّا يرِفّ.

﴿فَجَعَلَهُۥ﴾ بعد ذلك ﴿غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ أي: دَرينًا[١] أسودَ. وقيل: ﴿أَحْوَىٰ﴾ حال مِن المرعى، أي: أخرجه أحوى مِن شدّة الخُضرة والرِّيّ، فجعله غُثاءً بعد ذلك.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾

وقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ بيان لهدايته تعالى الخاصّة برسول الله

---

[١] الدَّرين والدُّرانة: يبيس الحشيش، وحُطام المرعى إذا قدُم. لسان العرب لابن منظور، «درين».

صلّى الله عليه وسلّم إثرَ بيان هدايته العامّة لكافّة مخلوقاته، وهي هدايته عليه السلام لتلقّي الوحي وحِفظ القرآن الذي هو هدًى للعالمين، وتوفيقُه عليه السلام لهداية الناس أجمعين.

و"السين" إمّا للتأكيد وإمّا لأنّ المراد إقراءُ ما أُوحيَ إليه حينئذ وما سيُوحى إليه بعدَ ذلك، فهو وعد كريم باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالإقراء، أي: سنُقرئك ما نُوحي إليك الآن وفيما بعدُ على لسان جبريلَ عليه السلام، أو سنجعلك قارئًا بإلهام القراءة فلا تنسى أصلًا مِن قوّة الحفظ والإتقان مع أنّك أمّيّ لا تدري ما الكتاب وما القراءة، ليكون ذلك آيةً أخرى لك مع ما في تضاعيف ما تقرؤه مِن الآيات البيّنات مِن حيث الإعجازُ ومن حيث الإخبارُ بالمغيّبات. وقيل: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ نهيٌ، و"الألف" لمراعاة الفاصلة، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب، ٦٧/٣٣].[١]

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ استثناء مفرَّغ مِن أعمّ المفاعيل، أي: لا تنسى ممّا تقرؤه شيئًا مِن الأشياء إلّا ما شاء الله أن تنساه أبدًا بأن نسَخ تلاوته. والالتفاتُ إلى الاسم الجليل لتربية المَهابة والإيذان بدوران المشيئة على عنوان الألوهيّة المستتبعة لسائر الصفات.

وقيل: المراد به النسيان في الجملة على القلّة والنُدرة،[٢] كما روي أنّه صلّى الله عليه وسلّم أسقطَ آيةً في قراءته / في الصلاة، فحسب أُبيّ أنّها نُسخت فسأله فقال عليه السلام «نسيتُها».[٣] وقيل: نفى النسيان رأسًا، فإنّ القِلّة قد تُستعمَل في النفي،[٤] [٢٩١ظ]
فالمراد بالنسيان حينئذ النسيان بالكلّيّة؛ إذ هو المنفيّ رأسًا لا ما قد يُنسى ثمّ يُذكَر.

﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ تعليل لِما قبله، أي: يعلم ما ظهر وما بطن مِن الأمور التي مِن جملتها ما أوحى إليك فيُنسي ما يشاء إنساءَه ويُبقي محفوظًا ما يشاء إبقاءَه لِما نيط بكلّ منهما مِن مصالح دينكم.

---

١ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٥٥/٤.

٢ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٥٥/٤.

٣ مسند أحمد، ٨٠/٢٤ (١٥٣٦٥)؛ صحيح ابن خزيمة، ٧٣/٣ (١٦٤٧).

٤ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٥٥/٤.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ عطفٌ على ﴿نُقْرِئُكَ﴾،[١] كما ينبئ عنه الالتفاتُ إلى الحكاية، وما بينهما اعتراضٌ وارد لِما ذُكر مِن التعليل. وتعليق التيسير به عليه السلام مع أنّ الشائع تعليقه بالأمور المسخَّرة للفاعل كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِى﴾ [طه، ٢٦/٢٠] للإيذان بقوّة تمكينه عليه السلام مِن اليُسرى والتصرّف فيها بحيث صار ذلك مَلَكةً راسخةً له كأنّه عليه السلام جُبل عليها، كما في قوله عليه السلام: «اعملوا فكلّ مُيسَّر لِما خُلق له».[٢]

أي: نوفِّقك توفيقًا مستمِرًّا للطريقة اليُسرى في كلّ باب مِن أبواب الدِّين عِلمًا وتعليمًا واهتداءً وهدايةً، فيندرج فيه تيسير طريق تلقّي الوحي والإحاطة بما فيه مِن أحكام الشريعة السمحة والنواميس الإلهيّة ممّا يتعلّق بتكميل نفسه عليه السلام وتكميل غيره، كما يُفصح عنه "الفاء" في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: فذكِّر الناس حسبما يسَّرناك له بما يُوحى إليك واهدِهم إلى ما في تضاعيفه مِن الأحكام الشرعيّة، كما كنتَ تفعله، لا بعد ما استتبّ لك الأمر كما قيل.[٣]

وتقييد التذكير بنَفْع الذكرى لِما أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم طالما كان يُذكِّرهم ويستفرغ فيه غايةَ المجهود ويتجاوز في الجدّ كلّ حدّ معهود حرصًا على إيمانهم، وما كان يزيد ذلك لبعضهم إلّا كفرًا وعِنادًا فأُمر عليه السلام بأن يخصّ التذكير بموادّ النفع في الجملة، بأن يكون مَن يذكِّره كلًّا أو بعضًا ممّن يرجى منه التذكّر ولا يُتعِب نفسه في تذكير مَن لا يورثه التذكير إلّا عتوًّا ونفورًا مِن المطبوع على قلوبهم، كما في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق، ٤٥/٥٠]، وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ [النجم، ٢٩/٥٣].

وقيل: هو ذمّ للمذكَّرين وإخبارٌ عن حالهم، واستبعادٌ لتأثير التذكير فيهم،[٤] وتسجيلٌ عليهم بالطبع على قلوبهم، كقولك للواعظ: "عِظِ المَكّاسين / إن سمعوا منك" قصدًا إلى أنّه ممّا لا يكون. [٢٩٢و]

---

١ في الآية السادسة مِن هذه السورة.
٢ صحيح البخاري، ١٧١/٦ (٤٩٤٩)؛ صحيح مسلم، ٢٠٤٠/٤ (٢٦٤٧).
٣ في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٥٢٤/٣.
٤ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٥٢٤/٣.

والأوّل أنسبُ، لقوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ أي: سيتذكّر بتذكيرك مَن مِن شأنه أن يخشى الله تعالى حقّ خشيته أو مَن يخشى الله تعالى في الجملة، فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكّر في أمر ما تذكّر به فيقف على حقّيته فيؤمن به.

وقيل: ﴿إن﴾ بمعنى "إذ"، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران، ١٣٩/٣]، أي: إذ كنتم. وقيل: هي بمعنى "ما"، أي: فذكِّر ما نفَعت الذكرى، فإنّها لا تخلو عن نفع بكلّ حال. وقيل: هناك محذوف، فالتقدير: إن نفَعت الذكرى وإن لم تنفع، كقوله تعالى: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل، ٨١/١٦]. قاله الفرّاء والنّحّاس والجُرجاني والزهراوي.[١]

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ أي: الذكرى ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ مِن الكفَرة لتوغّله في عداوة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة وعُتبة بن ربيعة.[٢]

﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ أي: الطبقة السفلى مِن طبقات النار. وقيل: الكبرى نار جهنّم والصغرى نار الدنيا،[٣] لقوله عليه السلام: «نارُكم هذه جزء مِن سبعين جزءًا مِن نار جهنّم».[٤]

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ حتّى يستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياةً تنفعه، و﴿ثُمَّ﴾ للتراخي في مراتب الشِّدّة لأنّ التردّد بين الموت والحياة أفظع مِن الصِّليّ.

﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ أي: نجا مِن المكروه وظفر بما يرجوه ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: تطهَّر مِن الكفر والمعاصي بتذكّره واتّعاظه بالذكرى، أو تكثّر مِن التقوى والخشية مِن "الزَّكاء" وهو النماء. وقيل: تطهَّر للصلاة. وقيل: "تزكّى" تفعّل مِن "الزكاة".[٥] وكلمة ﴿قد﴾ لِما أنّ عند الإخبارِ بسوء حال المتجنِّب عن الذكرى في الآخرة يتوقّع السامع الإخبارَ بحسن حالِ المتذكِّر فيها وينتظره.

---

١ هذه الأقوال الثلاثة في اللباب لابن عادل، ٢٨٢/٢٠. والوجه الأخير ذكره النّحّاس في إعراب القرآن، ٢٠٦/٥، ولم أجده في معاني القرآن للفرّاء، والذي في تفسير درج الدُّرر المنسوب إلى الجرجاني، ٧١/٤، أنّ ﴿إن﴾ بمعنى "قد".

٢ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٥٦/٤.

٣ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٥٦/٤.

٤ بلفظ قريب في مسند أحمد، ٢٨٠/١٢ (٧٣٢٧)؛ وصحيح مسلم، ٢١٨٤/٤ (٢٨٤٣)؛ وسنن ابن ماجه، ٣٧٠/٥ (٤٣١٨)؛ وسنن الترمذي، ٧٠٩/٤ (٢٥٨٩).

٥ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٥٦/٤.

﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ بقلبه ولسانه ﴿فَصَلَّىٰ﴾ أقام الصلوات الخمس، كقوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه، ١٤/٢٠]، أي: كبّر تكبيرة الافتتاح فصلّى. وقيل: ﴿تَزَكَّىٰ﴾، أي: تصدّق صدقة الفطر.[1] ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾، أي: كبّره يوم العيد فصلّى، أي: صلاته.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧﴾

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ إضراب عن مقدّر ينساق إليه الكلام، كأنّه قيل إثر بيان ما يؤدّي / إلى الفلاح: لا تفعلون ذلك؛ بل تُؤثِرون اللذّات العاجلة الفانية [٢٩٢ظ] فتَسْعون لتحصيلها. والخطاب إمّا للكفَرة فالمراد بإيثار الحياة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والإعراضُ عن الآخرة بالكلّيّة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ الآية [يونس، ٧/١٠]، أو للكلّ فالمراد بإيثارها ما هو أعمّ ممّا ذُكر وما لا يخلو عنه الناس غالبًا مِن ترجيح جانب الدنيا على الآخرة في السعي وترتيب المبادي. والالتفات على الأوّل لتشديد التوبيخ وعلى الثاني كذلك في حقّ الكفرة وتشديد العتاب في حقّ المسلمين. وقُرِئ: "يُؤْثِرُونَ"[2] بـ"الياء".

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ حال مِن فاعل ﴿تُؤْثِرُونَ﴾ مؤكِّدة للتوبيخ والعِتاب، أي: تؤثِرونها على الآخرة، والحال أنّ الآخرة خير في نفسها لِما أنّ نعيمها مع كونه في غاية ما يكون مِن اللذّة خالص عن شائبة الغائلة أبديّ لا انصرام له. وعدمُ التعرّض لبيان تكدُّر نعيم الدنيا بالمنغِّصات وانقطاعِه عمّا قليل لغاية ظهوره.

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾

﴿إِنَّ هَـٰذَا﴾ إشارة إلى ما ذُكر مِن قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾.[3] وقيل: إلى ما في السورة جميعًا.[4] ﴿لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: ثابت فيها معناه.

---

[1] مرويّ عن أبي سعيد الخُدري وعليّ بن أبي طالب في معالم التنزيل للبغوي، ٤٠٢/٨؛ والكشّاف للزمخشري، ٥٥٦/٤.

[2] قرأ بها أبو عمرو ويعقوب بخلاف عنه. النشر لابن الجزري، ٤٠٠/٢.

[3] في الآية الرابعة عشرة مِن هذه السورة.

[4] القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٥٦/٤.

﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ بدل مِن ﴿ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾، وفي إبهامها ووصفِها بالقِدم ثمّ بيانها وتفسيرها مِن تفخيم شأنها ما لا يخفى. رُوي أنّ جميع ما أنزلَ الله عزّ وجلّ مِن كتاب مائة وأربعة كتب، أنزل على آدمَ عليه السلام عشرَ صُحف وعلى شيث خمسين صحيفةً وعلى إدريسَ ثلاثين صحيفةً وعلى إبراهيمَ عشر صحائفَ عليهم السلام والتوراةَ والإنجيلَ والزبورَ والفرقانَ.[1]

عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة الأعلى أعطاه الله تعالى عشرَ حسنات بعدد كلّ حرف أنزله الله تعالى على إبراهيمَ وموسى ومحمّد عليهم السّلام».[2]

---

١ جزء مِن حديث طويل بلفظ قريب في صحيح ابن حبّان، ٢/٧٧ (٣٦١)؛ وشعب الإيمان للبيهقي، ٤/٤٤ (٢١٥٥)؛ وبلفظه في الكشّاف للزمخشري، ٤/٥٥٦.

٢ الكشف والبيان للثعلبي، ٢٩/٢٢٨ (الأعلى، ١/٨٧)؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٤/٤٦٨ (الأعلى، ١/٨٧)؛ الكشّاف للزمخشري، ٤/٥٥٧. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ١/٢٤٠.

٨٧

سورة الأعلى

مكية، تسعَ عشْرةَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿سَبِّحِ اسمَ رَبِّكَ﴾ أي: نَزِّهْ ربَّك عمّا لا يليق به ـ واسم: زائدٌ ـ ﴿الأعلَى﴾: صفةٌ لـ «ربّك»، ٢ ـ ﴿الَّذِي خَلَقَ فسَوَّى﴾ مخلوقه جعله مُتناسب الأجزاء غير مُتفاوت، ٣ ـ ﴿والَّذِي قَدَّرَ﴾ ما شاء ﴿فهَدَى﴾ إلى ما قدّره من خير وشرّ، ٤ ـ ﴿والَّذِي أخرَجَ المَرعَى﴾: ....

سورة الأعلى

قولُهُ: (و﴿اسْمَ﴾ زَائِدٌ) أو نَزِّه اسمَهُ عن الإطلاقِ على غيرِهِ، أو إطلاقِ اسمِ غيرِهِ عليه، أو عن الإلحادِ فيه بالتَّأويلاتِ الزَّائغةِ، أو عن ذكرِهِ لا على وجهِ التَّعظيمِ.

قولُهُ: (صِفَة لِـ﴿رَبِّكَ﴾) أو للاسمِ، فلله الأسماءُ الحُسنى والصِّفاتُ العُلى.

قولُهُ: (فَجعَلَه) وجعلَ له ما به يتأتَّى كمالُهُ ويتمُّ معاشُهُ، وقيل: خلَقَ الخَلقَ فسوَّى بينَهُم في الخلقَةِ، وميَّزَ بينهم في اختصاصِ الهدايَةِ.

قولُهُ: (مَا شَاءَ) أي: أجناسَ الأشياءِ وأنواعَها وأشخاصَها ومقاديرَها وصفاتِها وأفعالَها وآجالَها، وقرأ الكسائيُّ: بالتَّخفيفِ[1].

قولُهُ: (إِلَى مَا قَدَّرَهُ) أي: فوجَّهَهُ إلى أفعالِهِ طَبعاً واختياراً بخلقِ الميولِ والإلهاماتِ ونصبِ الدَّلائلِ وإنزالِ الآياتِ، وقالَ الواسطيُّ[2]: قدَّرَ السَّعادَةَ والشَّقاوَةَ عليهم، ثمَّ يسَّرَ لكُلٍّ من الطَّائفتينِ ما قدَّرَ له.

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٨٠).

(٢) انظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٣٨٩).

أنبتَ العُشب ٥ ـ ﴿فجَعَلَهُ﴾ بعد الخُضرة ﴿غُثاءً﴾: جافًا هشيمًا ﴿أحوَى﴾: أسودَ يابسًا.

٦ ـ ﴿سَنُقرِئُكَ﴾ القُرآنَ ﴿فلا تَنسَى﴾ ما تقرؤه، ٧ ـ ﴿إلاّ ما شاءَ اللهُ﴾ أن تنساه بنسخ تلاوته وحُكمه ـ وكان ﷺ يَجهر بالقِراءة مع قِراءة جِبريل خوفَ النسيان. فكأنه قيل له: لا تعجلْ بها. إنك ما تنسى. فلا تُتعِب نفسك بالجهر بها. ﴿إنَّهُ﴾ تعالى ﴿يَعلَمُ الجَهرَ﴾ من القول والفِعل ﴿وما يَخفَى﴾ منهما ـ ٨ ـ ﴿ونُيَسِّرُكَ لِليُسرَى﴾ للشريعة السهلة وهي الإسلام.

٩ ـ ﴿فذَكِّرْ﴾: عِظْ بالقُرآن ﴿إن نَفَعَتِ الذِّكرَى﴾ مَن تُذَكِّرُهُ، المذكورَ في: ١٠ ـ ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ بها ﴿مَن يَخشَى﴾: يخافُ الله ـ تعالى ـ كآية «فذَكِّرْ بِالقُرآنِ مَن يَخافُ وَعِيدِ»، ١١ ـ ﴿ويَتَجَنَّبُها﴾ أي: الذكرى، أي: يَتركها جانبًا لا يلتفت إليها ﴿الأشقَى﴾ بمعنى الشقيّ أي: الكافر ١٢ ـ ﴿الَّذِي يَصلَى النّارَ الكُبرَى﴾ ـ هي نار الآخرة، والصغرى نار الدنيا ـ ....

قولُهُ: (العُشْبَ) أي: ما يرعاهُ الدَّوابُّ.

قولُهُ: (القُرآنَ) على لسانِ جبريلَ.

قولُهُ: (مَا تَقرَؤُهُ) أصلاً مع أنَّك أُمِّيٌّ؛ ليكونَ ذاك آيةً أخرى لك، وقيل: نهيٌ، وإثباتُ حُروفِ العلَّةِ في المجزومِ لُغَةً، أو الألفُ[1] للفاصلَةِ كقولِهِ: ﴿السَّبِيلا﴾، قالَ الجنيدُ: لا تنسَى العمَلَ به، ويُمكِنُ أن يكونَ نَفياً معناهُ النَّهيُ، وهو أبلغُ.

قولُهُ: (فلا تُتعِبْ نَفسَكَ) هذا توطئَةٌ لما بعدَه.

قولُهُ: (للشَّرِيعَةِ) أي: نعدُّكَ ونُوفِّقُكَ عَطفُ تفسيرٍ على: ﴿سَنُقرِئكَ﴾، و﴿إنَّهُ يَعلَمُ﴾ اعتِراضٌ.

قولُهُ: (مَنْ تُذَكِّرُهُ) مفعولُ: ﴿نَفَعَت﴾ والمذكورُ صفَةُ من، والشَّرطيَّةُ للإشعارِ بأنَّ التَّذكيرَ إنَّما يجبُ إذا أمكَنَ نفعُهُ، ولذلك أمرَ بالإعراضِ عن من تولَّى.

قولُهُ: (بِهَا) أي: سيتَّعِظُ وينتَفِعُ بالذِّكرى والموعِظَةِ.

قولُهُ: (يَخَافُ) فإنَّه يتفكَّرُ فيها فيعلَمُ حقيقَتَها، وهو يتناوَلُ العارِفَ والمتَرَدِّد.

قولُهُ: (بِمَعنَى الشَّقِيِّ) أو فإنَّهُ أشقَى من الفاسِقِ، أو الأشقى مِنَ الكفرَةِ لتوغُّلِهِ في الكُفرِ.

قولُهُ: (نَارُ الآخِرَة) فإنَّه ﷺ قال: «نارُكُم هذهِ جُزءٌ من سبعِينَ جُزءاً من نارِ جهنَّمَ»[2]، أو ما في الدَّركِ الأسفَلِ منها.

---

(١) في الأصول: «أو إثبات.... والألف»، ولعل الصواب ما أثبته وانظر: «حاشيه الشهاب» (٨/ ٣٤٩).

(٢) رواه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١٣ ـ ﴿ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيها﴾ فيستريحَ ﴿ولا يَحيا﴾ حياة هنيئة.

١٤ ـ ﴿قَد أفلَحَ﴾: فاز ﴿مَن تَزَكَّى﴾: تطهّرَ بالإيمان، ١٥ ـ ﴿وذَكَرَ اسمَ رَبِّهِ﴾ مُكبرًا ﴿فصَلَّى﴾ الصلواتِ الخمسَ. وذلك من أُمور الآخرة، وكُفّارُ مكّة مُعرضون عنها. ١٦ ـ ﴿بَل يُؤثِرُونَ﴾ ـ بالتحتانيّة والفَوقانيّة ـ ﴿الحَياةَ الدُّنيا﴾ على الآخرة، ١٧ ـ ١٨ ـ ﴿والآخِرةُ﴾ المُشتملة على الجنّة ﴿خَيرٌ وأبقَى. إنَّ هذا﴾ أي: إفلاحَ من تزكّى وكونَ الآخرة خيرًا ﴿لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾ أي: المُنزَلة قبل القُرآن، ١٩ ـ ﴿صُحُفِ إبراهِيمَ ومُوسَى﴾. وهي عشْرُ صُحف لإبراهيم والتوراةُ لموسى.

قولُهُ: (فيَستَرِيحَ) بالنَّصبِ جوابُ النَّفيِ.

قولُهُ: (بالإيمَانِ) أو للصَّلاةِ، أو أدَّى الزَّكاةَ.

قولُهُ: (مُكَبِّرًا) قالَ أبو حنيفَةَ[1]: لا يُشتَرَطُ التَّكبيرُ بل كُلُّ ذكرٍ يدُلُّ على تعظيمِهِ تعالى[2] غيرَ مَشُوبٍ بالدُّعاءِ ولو بالفارسيَّةِ جائزٌ للإطلاقِ، وقالَ: إنَّه شَرطٌ لا ركنٌ؛ للعَطفِ بالفاءِ، وقيل المعنَى: وذكرَ اسمَ ربِّهِ بقلبِهِ ولسانِهِ، وقيل: ﴿تَزَكَّى﴾ تصدَّقَ للفِطرِ، و﴿ذَكَرَ اسمَ رَبِّهِ﴾ كبَّرَ يومَ العيدِ فصَلَّى صلاتَهُ.

قولُهُ: (بالتَّحتَانِيَّةِ) بَصريٌّ[3].

قولُهُ: (والفَوقَانِيَّة) قيل: الخِطابُ إلى الأشْقَينَ على الالتِفاتِ، أو إضمارِ: قُل، أو إلى الكُلِّ، فإنَّ السَّعيَ للدُّنيا أكثَرُ في الجُملةِ.

قولُهُ: (على الآخِرَةِ) فلا تفعَلونَ ما يُسعِدُكُم فيها.

قولُهُ: (أي: إفلاحَ) يَعني: الإشارَةُ إلى ما سبَقَ من ﴿قَد أفلَحَ﴾؛ فإنَّه جامِعُ أمرِ الدِّيانَةِ وخُلاصَةُ الكُتُبِ المنزَلةِ.

قولُهُ: (وهيَ عَشرُ صُحُفٍ) بدَلٌ من: ﴿الصُّحُفِ الأُولَى﴾ قالَه القاضِي[4]، والظَّاهرُ أنَّه بدلُ بعضٍ، والله سبحانهُ وتعالى أعلمُ.

* * *

---

(١) انظر: «التجريد» (١/ ٤٦٣).

(٢) في بعض الأصول: «يقال».

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٨٠).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٣٠٦).

سورة الأعلى
جل و علا

وتُسمَّى سورةَ «سبّح»، والجمهور على أنها مكيةٌ، وحكى ابن الفرس عن بعضهم أنها مدنيةٌ، لِذِكْر صلاة العيد وزكاة الفطر فيها. ورَدَّهُ الجلالُ السيوطيُّ[1] بما أخرج البخاريُّ وابن سعد وابن أبي شيبة[2] عن البراء بن عازب قال: أول مَنْ قَدِمَ علينا من أصحاب النبيِّ ﷺ مصعبُ بن عمير وابن أمِّ مكتوم، فجعلا يُقرئانا القرآن، ثم جاء عمارٌ وبلالٌ وسعدٌ، ثم جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عشرينَ، ثم جاء النبيُّ ﷺ، فما رأيتُ أهلَ المدينة فرحوا بشيءٍ فَرَحَهم به عليه الصلاة والسلام، حتى رأيتُ الولائدَ والصبيانَ يقولون: هذا رسولُ الله ﷺ قد جاء، فما جاء عليه الصلاة والسلام حتى قرأتُ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ في سُوَرٍ مثلها.

ثم إنَّ ذِكْرَ صلاة العيد وزكاة الفطر فيها غيرُ مُسَلَّم، ولو سُلِّمَ فلا دلالة فيه على ذلك كما سيأتي إن شاء الله تعالى تفصيلُهُ.

وهي تِسْعَ عشرةَ آيةً بلا خلاف، وَوَجْهُ مناسبتها لما قَبلها أنه ذُكِرَ في سورة الطارق خَلْقُ الإنسان، وأُشير إلى خلق النبات بقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾ وذُكرا هاهنا في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾﴾ وقصةُ النبات هنا أوضحُ وأبسطُ، كما أنَّ قصةَ خَلْقِ الإنسان هناك كذلك، نعم إنَّ ما في هذه السورة أعمُّ من جهة شموله للإنسان وسائر المخلوقات.

---

(١) في الإتقان ١/ ٤٠.

(٢) صحيح البخاري (٣٩٢٤) و(٤٩٤١) و(٤٩٩٥)، وطبقات ابن سعد ١/ ٢٣٤. وهو عند أحمد (١٨٥١٢) وعزاه لابن أبي شيبة السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٣٧.

وكان ﷺ يحبُّها، أخرج الإمامُ أحمد والبزار وابن مردويه(١) عن عليٍّ كرم الله تعالى وجهه قال: كان رسول الله ﷺ يُحبُّ هذه السورة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾.

وجاء في حديثٍ أخرجه أبو عبيد عن أبي تميمٍ أنه عليه الصلاة والسلام سمَّاها أفضلَ المسبِّحات(٢).

وأخرج أبو داود والترمذيُّ والنسائيُّ وابن ماجه والحاكم وصححه، والبيهقي عن عائشة قالت: كان النبيُّ ﷺ يقرأ في الوتر في الركعة الأولى: «سبّح»، وفي الثانية: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، وفي الثالثة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين(٣).

وفي حديث أخرجه المذكورون وغيرُهم إلا الترمذي عن أبيٍّ بن كعب نحو ذلك، بيد أنه ليس فيه المعوّذتان(٤).

وأخرج ابن أبي شيبةَ والإمامُ أحمد ومسلم وأبو داود والترمذيُّ والنسائيُّ وابن ماجه(٥) عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾ وإن وافقَ يوم الجمعة قرأهما جميعاً.

وأخرج الطبرانيُّ(٦) عن عبد الله بن الحارث قال: آخرُ صلاةٍ صلّاها رسول الله ﷺ المغرب، فقرأ في الركعة الأولى بـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ وفي الثانية بـ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.

---

(١) أحمد (٧٤٢)، والبزار (٧٧٥)، ونقله المصنف عن الدر المنثور ٦/ ٣٣٧.

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد ص ١٣٩، وهو مرسل؛ فإن أبا تميم ـ واسمه عبد الله بن مالك الجيشاني، وأصله من اليمن ـ ولد في حياة النبي ﷺ، وهاجر زمن عمر، وروى عنه عدد من الصحابة. التهذيب ٢/ ٤١٤.

(٣) سنن أبي داود (١٤٢٤)، وسنن الترمذي (٤٦٢)، وسنن ابن ماجه (١١٧٣)، والمستدرك ٢/ ٥٢٠، وسنن البيهقي ٣/ ٣٧.

(٤) سنن أبي داود (١٤٢٣)، وسنن ابن ماجه (١١٧١)، وسنن البيهقي ٣/ ٣٨.

(٥) ابن أبي شيبة ٢/ ١٧٦، وأحمد (١٨٣٨٣)، ومسلم (٨٧٨)، وأبو داود (١١٢٢)، والترمذي (٥٣٣)، والنسائي في المجتبى ٣/ ١٨٤، وابن ماجه (١٢٨١).

(٦) في الكبير كما في مجمع الزوائد ٢/ ١١٨، وهو في مسند البزار (٢١٧٤)، وفي إسناده حجاج بن نصير، قال عنه الحافظ في التقريب: ضعيف، كان يقبل التلقين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ أي: نَزِّهْ أسماءه عزَّ وجلَّ عمَّا لا يليق، فلا تؤوِّل مما ورد منها اسماً من غير مقتضٍ، ولا تُبْقِهِ على ظاهره إذا كان ما وُضِعَ له مما لا يصحُّ له تعالى، ولا تُطلقه على غيره سبحانه أصلاً إذا كان مختصًّا كالاسم الجليل، أو على وجهٍ يُشعر بأنه تعالى والغيرُ فيه سواء إذا[1] لم يكن مختصًّا، فلا تقل لمن أعطاك شيئاً مثلاً: هذا رازقي، على وجهٍ يُشعر بذلك.

وَصُنْهُ عن الابتذال والتلفُّظ به في محلٍّ لا يليق به، كالخلاء وحالة التغوُّط، وذِكْرِه لا على وجه الخشوع والتعظيم، وربما يُعَدُّ مما لا يليقُ ذِكْرُهُ عند مَنْ يَكرهُ سماعه من غير ضرورةٍ إليه. وعن الإمام مالك ﵁ أنه كان إذا لم يجدْ ما يُعطي السائلَ يقول: ما عندي ما أُعطيك، أو: ائتني في وقتٍ آخر، أو نحو ذلك، ولا يقول نحو ما يقول الناس: يرزقك الله تعالى، أو يبعثُ الله تعالى لك، أو يُعطيك الله تعالى، أو نحوه، فسُئل عن ذلك فقال: إنَّ السائلَ أثقلُ شيءٍ على سمعه وأبغضُهُ إليه قولُ المسؤول له ما يفيده رَدَّه وحرمانه، فأنا أُجِلُّ اسمَ الله سبحانه من أن أذكره لمن يَكرهُ سماعه، ولو في ضمن جملة. وهذا منه ﵁ غايةٌ في الورع.

وما ذُكِرَ من التفسير مبنيٌّ على الظاهر من أنَّ لفظ «اسمٍ» غير مُقْحَمٍ، وذهب كثيرٌ إلى أنه مُقْحَمٌ، وهو قد يُقْحَمُ لضَرْبٍ من التعظيم على سبيل الكناية، ومنه قول لبيد:

إلى الحول ثم اسمُ السلام عليكما[2]

فالمعنى: نَزِّهْ ربَّكَ عمَّا لا يليقُ به من الأوصاف. واستُدلَّ لهذا بما أخرجه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه وغيرهم عن عقبةَ بن عامر الجهني قال: لما نزلت

(١) في (م): إذ.
(٢) ديوانه ص٧٩، وتمامه: ومَنْ يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر، وسلف عند تفسير الآية (٤١) من سورة هود.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦] قال لنا رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم» فلما نزلت ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: «اجعلوها في سجودكم»(١). ومن المعلوم أنَّ المجعول فيهما: سبحان ربي العظيم، وسبحان ربي الأعلى.

وبما أخرج الإمام أحمد وأبو داود والطبرانيُّ والبيهقيُّ في «سننه»(٢) عن ابن عباس أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا قرأ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: «سبحان ربي الأعلى».

وروى عبد بن حميد وجماعةٌ أنَّ عليًّا كرم الله تعالى وجهه قرأ ذلك فقال: سبحان ربي الأعلى وهو في الصلاة. فقيل له: أتزيدُ في القرآن. قال: لا إنما أُمرنا بشيءٍ ففعلته(٣).

وفي «الكشاف»: تسبيحُ اسمه تعالى: تنزيههُ عمَّا لا يصحُّ فيه من المعاني التي هي إلحادٌ في أسمائه سبحانه؛ كالجبر والتشبيه مثلاً، وأن يُصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم(٤). فجعل المعنيين ـ على ما قيل ـ راجعين إلى الاسم، وإن كان الأول بالحقيقة راجعاً إليه عزَّ وجلَّ، لكن كما يصحُّ أن يقال: نزِّهِ الذاتَ عمَّا لا يصحُّ له من الأوصاف، يصحُّ أن يقال أيضاً: نَزِّهْ أسماءه تعالى الدالَّةَ على الكمال عمَّا لا يصحُّ فيه من خلافه. وليس المعنى الأولُ مبنيًّا على أنَّ لَفْظَ «اسم» مُقْحَمٌ، ولا على أنَّ المراد به المسمَّى إطلاقاً لـ «اسم» الدالِّ على المدلول، نعم قال به بعضُهم هنا، وهو إن كان للأخبار السابقة كما في دعوى الإقحام فلا بأس، وإن كان لِظَنِّ أنَّ التسبيحَ لا يكون للألفاظ الموضوعة له تعالى، فليس بشيءٍ؛ لفساد هذا الظَّنِّ بظهور أنَّ التسبيحَ يكونُ لها كما سمعت، وقد قال الإمام(٥): إنه كما يجبُ تنزيهُ ذاته تعالى وصفاته جلَّ وعلا عن النقائص، يجبُ

(١) أحمد (١٧٤١٤)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧). وسلف عند تفسير الآية (٩٧) من سورة الواقعة. وجاء في هامش الأصل و(م): وفي الكشاف: وكانوا يقولون في الركوع: اللهم لك ركعت، وفي السجود: اللهم لك سجدت. وليس في هذا الحديث المروي عمن سمعت.
(٢) أحمد (٢٠٦٦)، وأبو داود (٨٨٣)، والطبراني في الكبير (١٢٣٣٥)، والبيهقي ٢/ ٣١٠.
(٣) الدر المنثور ٦/ ٣٣٨، وأخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٥٠٨ دون قوله: فقيل له: أتزيد... إلخ.
(٤) الكشاف ٤/ ٢٤٢-٢٤٣.
(٥) لم نقف على قوله في التفسير الكبير.

تنزيهُ الألفاظ الموضوعة لذلك عن الرَّفَثِ وسوء الأدب. ومن هذا يُعلَمُ ما في التعبير عنه تعالى شأنه بنحو ليلى ونُعْم كما يُدَّعى ذلك في قول ابن الفارض قُدِّسَ سِرُّهُ:

أَبَـرْقٌ بـدا مـن جـانـبِ الـغَـوْر لامـعُ ... أمِ ارتفعتْ عن وجه ليلى البراقعُ[1]

وقوله:

إذا أنـعـمـتْ نُـعْـمٌ عـلـيَّ بـنـظـرةٍ ... فلا أَسعدتْ سُعدَى ولا أجملتْ جُملُ[2]

إلى غير ذلك من أبياته، وقد عاب ذلك بعضُ الأجلَّة وعدَّهُ من سوء الأدب، ومخالفاً لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ الآية [الأعراف: ١٨٠].

وأجاب بعضُهم بأنَّ ذلك ليس من الوضع في شيءٍ، وفَهْمُ الحضرة الإلهية من تلك الألفاظ إنما هو بطريق الإشارة، كما قالوا في فَهْم النفس الأمَّارة من البقرة مثلاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧].

والمنكِرُ لا يقنعُ بهذا، والأظهرُ أن يقال: إنَّ الكلامَ المورَدَ فيه ذلك من قبيل الاستعارة التمثيلية، ولا نظرَ فيها إلى تشبيه المفردات بالمفردات، فليس فيه التعبيرُ عنه عزَّ وجلَّ بليلى ونحوها، واستعمالُ الاستعارة التمثيلية في شأنه تعالى مما لا بأس به، حتى إنهم قالوه في البسملة كما لا يخفى على مَنْ تتبَّعَ رسائلهم فيها. هذا ولعلَّ عندهم خبراً منه.

وقال جمعٌ: الاسمُ بمعنى التسمية، والمعنى: نَزِّهْ تسميةَ ربِّكَ بأن تذكره وأنت له سبحانه معظِّمٌ، ولذِكْره جلَّ شأنه محترِمٌ. وأنت تعلمُ أنَّ هذا يندرجُ في تسبيح الاسم كما تقدَّم.

وعن ابن عباس أنَّ المعنى: صَلِّ باسم ربك الأعلى، كما تقول: أبدأ باسم الله تعالى، وحَذْفُ حرف الجر حكاه في «البحر»[3]، ولا أظنُّ صحَّته.

---

(١) البيت في ديوانه ص١٦٦.
(٢) البيت في ديوانه ص١٣٦.
(٣) ٨/ ٤٥٨.

وقال عصام الدين: لا يبعدُ أن يُراد بالاسم[1] الأثر، أي: سَبِّح آثارَ ربِّكَ الأعلى عن النقصان، فإنَّ أثره تعالى دالٌّ عليه سبحانه كالاسم، فيكون مَنْعاً عن عيبِ المخلوقات، أي: من حيثُ إنها مخلوقةٌ له تعالى، وعلى وجهٍ ينافي قوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣]. ولا يَخْفَى بُعْدُه، وإن كان فيما بعدُ من الصفات ما يُستأنس به له.

وأنا أقول: إن كان «سبِّح» بمعنى نزِّه، فكِلا الأمرين ـ من كون «اسم» مقحماً وكونِه غيرَ مقحَمٍ وتعلُّق التسبيح به على الوجه الذي سمعتَ ـ محتملٌ غيرُ بعيدٍ، وإذا كان معناه: قلْ سبحان، كما هو المعروف فيما بينهم، فكونه مُقحَماً متعيِّنٌ؛ إذ لم يُسْمَعْ سَلَفاً وخَلَفاً مَنْ يقول: سبحان اسم ربي الأعلى، أو سبحان اسم الله. والأخبارُ ظاهرةٌ في ذلك، وحَمْلُ ما فيها على اختيار الأخصر المستلزمِ لغيره كما ترى، ويؤيِّدُ هذا قراءة أُبيٍّ بن كعب كما في خبر سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه عن ابن جبير: «سبحان ربي الأعلى»[2]، وأما ما قيل من أنَّ الاسمَ عينُ المسمَّى، واستُدِلَّ عليه بهذه الآية ونحوها، فهو مما لا يُعوَّلُ عليه أصلاً، وقد تقدم الكلامُ أولَ الكتاب، فارجع إليه إن أردته.

و«الأعلى» صفةٌ للرَّبِّ، وأُريد بالعلوِّ العلوُّ بالقهر والاقتدار، لا بالمكان؛ لاستحالته عليه سبحانه، والسلفُ وإن لم يؤوِّلوه بذلك لكنهم أيضاً يقولون باستحالة العلوِّ المكانيِّ عليه عزَّ وجلَّ.

وجوِّز جعلُهُ صفةً لـ «اسم»، وعلوُّه ترفُّعه عن أن يشاركه اسمٌ في حقيقة معناه.

واستُشكل بأنَّ قوله تعالى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ إلخ إن كان صفةً للرَّبِّ كما هو الظاهر، لَزِمَ الفَصْلُ بين الموصوف وصفته بصفةِ غيره، وهو لا يجوز، فلا يقال: رأيتُ غلامَ هندٍ العاقلَ الحسنةِ. وإن كان صفةً لـ «اسمٍ» أيضاً اختلَّ المعنى؛ إذ الاسمُ لا يتَّصفُ بالخلق وما بعده.

(١) في (م): الاسم.
(٢) الطبري ٢٤/ ٣٠٩، والحاكم ٢/ ٥٢١، والدر المنثور ٦/ ٣٣٨.

وأُجيب باختيار الثاني، ولا اختلال: إما لأنَّ الاسمَ بمعنى المسمَّى، أو لأنه لَمَّا كان مُقحَماً كان «اسم ربك» بمنزلة ربِّك، فَصَحَّ وَصْفُهُ بما يُوصَفُ به الرَّبُّ عزَّ وجلَّ. وفيه نظرٌ، والجوابُ المقبول أنَّ «الذي» على ذلك التقدير إما مرفوعٌ على أنه خبرُ مبتدأ محذوف، أو منصوبٌ على المدح، ومفعولُ «خلق» محذوفٌ، ولذا قيل بالعموم، أي: الذي خلق كلَّ شيءٍ.

﴿فَسَوَّىٰ ۝٢﴾ أي: فجعله متساوياً، وهو أصلُ معناه، والمراد: فجعل خَلْقَهُ كما تقتضيه حِكْمته سبحانه في ذاته وصفاته، وفي معناه ما قيل: أي: فجعل الأشياءَ سواءً في باب الإحكام والإتقان، لا أنه سبحانه أتقنَ بعضاً دون بعض.

وَرُدَّ بما دلَّتْ عليه الآيةُ من العموم على المعتزلة في زَعْمهم أنَّ العبد خالقٌ لأفعاله، والزمخشريُّ مع أنَّ مذهبَهُ مذهبُهُمْ قال هنا بالعموم[1]، ولعلَّهُ لم يُرِدِ العمومَ الحقيقيَّ، أو أراده لكن على معنى: خَلَقَ كلَّ شيءٍ إما بالذات أو بالواسطة، وجَعَلَ ذلك في أفعال العباد بإقداره سبحانه، وتمكينهم على خَلْقها باختيارهم وقُدَرهم الموهوبة لهم.

وعن الكلبيِّ: خَلَقَ كلَّ ذي روح فسوَّى بين يديه وعينيه ورجليه.

وعن الزجاج: خَلَقَ الإنسانَ فَعَدَلَ قامَتَهُ، ولم يجعله منكوساً كالبهائم[2].

وفي كلٍّ تخصيصٌ لا يقتضيه ظاهرُ الحَذْف.

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ أي: جَعَلَ الأشياءَ على مقاديرَ مخصوصةٍ في أجناسها وأنواعها وأفرادها وصفاتها وأفعالها وآجالها.

﴿فَهَدَىٰ ۝٣﴾ فوجَّهَ كلَّ واحدٍ منها إلى ما يصدرُ عنه وينبغي له طَبْعاً أو اختياراً، ويسَّره لما خُلِقَ له بخَلْقِ الميول والإلهامات، ونَصْبِ الدلائل وإنزال الآيات، فلو تتبَّعتَ أحوالَ النباتات والحيوانات لرأيتَ في كلٍّ منها ما تَحارُ فيه

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٤٣.

(٢) مجمع البيان ٣٠/ ١٠٦، وهو في معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣١٥ بلفظ: خلق الإنسان مستوياً.

العقول، وتضيقُ عنه دفاترُ النقول، وأما فنونُ هداياته سبحانه وتعالى للإنسان على الخصوص ففوقَ ذلك بمراحلَ، وأبعدَ منه، ثم أبعد وأبعد بألوفٍ من المنازل، وهيهات أن يُحيطَ بها فَلَكُ العبارة والتحرير، ولا يكادُ يعلمها إلا اللطيف الخبير:

أتزعمُ أنك جِرْمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالم الأكبر(١)

وقيل: أي: والذي قدَّرَ الخَلْقَ على ما خلقهم فيه من الصور والهيئات، وأجرى لهم أسبابَ معاشهم من الأرزاق والأقوات، ثم هداهم إلى دينه ومعرفة توحيده بإظهار الدلالات والبيِّنات.

وقيل: قَدَّرَ أقواتهم وهداهم لطلبها.

وعن مقاتلٍ والكلبي: قَدَّرهم ذُكراناً وإناثاً، وهدى الذَّكر كيف يأتي الأنثى.

وعن مجاهدٍ: قَدَّر الإنسانَ والبهائمَ، وهدى الإنسانَ للخير والشر، والبهائمَ للمراتع.

وعن السُّدِّيِّ: قدَّر الولد في البطن تسعةَ أشهرٍ أو أقلَّ أو أكثر، وهداه للخروج منه للتمام.

وقيل: قدَّر المنافعَ في الأشياء، وهدى الإنسان لاستخراجها.

والأَوْلَى ما ذُكر أولاً، ولعلَّ ما في سائر الأقوال من باب التمثيل لا التخصيص، وزَعَمَ الفراءُ أنَّ في الآية اكتفاءً، والأصلُ: فهدى وأضلَّ(٢). وليس بشيء.

وقرأ الكسائيُّ: «قَدَرَ» بالتخفيف(٣) من القُدْرة أو التقدير.

﴿وَالَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤﴾ أي: أنبتَ ما ترعاه الدوابُّ غَضًّا رَطْباً يرفّ.

---

(١) البيت في الديوان المنسوب لعلي ﷺ ص٤٥. وسلف ١/ ٢٧٣.

(٢) معاني القرآن ٣/ ٢٥٦ والاكتفاء: أن يقتضي المقام شيئين بينهما تلازمٌ وارتباط، فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة. الإتقان ٢/ ٨٣٠.

(٣) التيسير ص٢٢١، والنشر ٢/ ٣٩٩.

﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً﴾ هو ما يَقذِفُ به السيلُ على جانب الوادي من الحشيش والنبات، وأصله على ما في «المجمع» الأخلاطُ من أجناسٍ شتَّى، والعربُ تُسمِّي القومَ إذا اجتمعوا من قبائلَ شتَّى أخلاطاً وغُثاءً[1]. ويقال: غُثَّاءً بالتشديد، وجاء جَمْعُهُ على أغثاء، وهو غريبٌ من حيثُ جَمْعُ فُعالٍ على أفعال، والمراد به هنا اليابسُ من النبات، أي: فجعله بعد ذلك يابساً.

﴿أَحْوَىٰ ۝٥﴾ من الحُوَّة، وهي كما قيل السوادُ، وقال الأعلم: لونٌ يضربُ إلى السواد. وفي «الصحاح»[2]: الحُوَّةُ: السُّمرة. فالمرادُ بأحوى أسودُ أو أسمرُ، والنبات إذا يبس اسودَّ أو اسمرَّ، فهو صفةٌ مؤكِّدةٌ للغثاء، وتُفسَّرُ الحُوَّةُ بشِدَّة الخُضْرة، وعليه قولُ ذي الرُّمة:

لمياءُ في شَفَتيها حُوَّةٌ لَعَسٌ ... وفي اللِّثاتِ وفي أنيابها شَنَبُ[3]

ولا ينافي ذلك تفسيرُها بالسواد؛ لأنَّ شِدَّةَ الخضرة تُرى في بادئ النظر كالسواد، وجُوِّز كونُهُ حالاً من المرعى، أي: أخرج المرعى حالَ كونه طريًّا غضًّا شديدَ الخُضْرة، فجعله غُثاءً، والفَصْلُ بالمعطوف بين الحال وصاحبها ليس فصلاً بأجنبيٍّ، لاسيَّما وهو حالٌ يعاقِبُ الأولَ من غير تراخٍ، وسِرُّ التقديم المبالغةُ في استعقاب حالةِ الجفاف حالةَ الرفيف والغضارة، كأنه قبل أن يتمَّ رفيفُهُ وغضارتُهُ يصيرُ غُثاءً، ومع هذا هو خلافُ الظاهر.

وهذه الأوصافُ على ما قيل يتضمَّنُ كلٌّ منها التدريج، ففي الوصف بها تحقيقٌ لمعنى التربية، وهي تبليغُ الشيء كمالَه شيئاً فشيئاً.

وقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ بيانٌ لهدايته تعالى شأنه الخاصةِ

(١) مجمع البيان ٣٠/ ١٠٥.

(٢) مادة (حوا).

(٣) البيت في ديوانه ١/ ٣٢. قال أبو نصر الباهلي شارح الديوان: اللَّمى: سُمْرةٌ في الشفتين، وكذلك الحُوَّة شبيهةٌ باللَّمى تضرب إلى السواد، وكذلك اللَّعَسُ يكون بالشفتين واللثة. والشنب؛ قال الأصمعي: بردٌ وعذوبةٌ في الأسنان. وغيره يقول: تمديد الأسنان ودقتها. والأول أجود.

برسوله ﷺ إثرَ بيان هدايته عزَّ وجلَّ العامة لكافة مخلوقاته سبحانه، وهي هدايته عليه الصلاة والسلام لتلقِّي الوحي وحفظِ القرآن الذي هو هُدًى للعالمين، وتوفيقه ﷺ لهداية الناس أجمعين.

والسِّين إما للتأكيد، وإما لأنَّ المرادَ إقراءُ ما أوحي إليه ﷺ حينئذٍ وما سيوحى إليه عليه الصلاة والسلام بعد، فهو وَعْدٌ كريمٌ باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالإقراء، وإسنادُ الإقراء إليه تعالى مجازيٌّ، أي: سنقرئك ما نوحي إليك الآن وفيما بعدُ على لسان جبريل عليه السلام - فإنه عليه السلام الواسطةُ في الوحي على سائر كيفياته - فلا تنسى أصلاً من قوة الحفظ والإتقان، مع أنك أميٌّ لم تكن تدري ما الكتابُ وما القراءة؛ ليكون ذلك لك آية، مع ما في تضاعيف ما تقرؤه من الآيات البيِّنات من حيثُ الإعجازُ ومن حيث الإخبارُ بالمغيبات.

وجُوِّزَ أن يكون المعنى: سنجعلك قارئاً بإلهام القراءة - أي: في الكتاب - من دون تعليمِ أحدٍ كما هو العادة، فقد روي عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ الكتابةَ ولا يكتب[1]. ويكون المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ نفيُ النسيان مطلقاً عنه عليه الصلاة والسلام؛ امتناناً عليه ﷺ بأنه أوتي قوةَ الحفظ. وفيه أنه مع كونه خلاف المأثور عن السلف في الآية، تأباهُ فاءُ التفريع.

وجُوِّزَ أيضاً أن يكون المراد نفيُ نسيان المضمون، أي: سنقرئك القرآنَ فلا تغفلُ عنه فتخالفَه في أعمالك، ففيه وعدٌ بتوفيقه عليه الصلاة والسلام لالتزام ما فيه من الأحكام. وهو كما ترى.

وقيل: «فلا تنسى» نهيٌ، والألفُ لمراعاة الفاصلة كما في قوله تعالى: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧]. وفيه أنَّ النسيانَ ليس بالاختيار، فلا يُنهى عنه إلا أن يُرادَ مجازاً تَرْكُ أسبابه الاختيارية، أو تركُ العمل بما تضمَّنه المقرأ، وفيه ارتكابُ تكلُّفٍ من غير داع، وأيضاً رَسْمُهُ بالياء يقتضي أنها من البنْية، لا للإطلاق، وكونُ رَسْمِ المصحف مخالفاً تكلُّفٌ أيضاً، نعم قيل: رُسِمَتْ ألفُ الإطلاق ياءً لموافقة غيرها

---

(١) لم نقف عليه.

من الفواصل، وموافقة أصلها، مع أنَّ الإمام المرزوقيَّ صرَّحَ بأنه عند الإطلاق تُرَدُّ المحذوفة.

وقيل: هو نهيٌ لكن لم تُحذَفِ الألفُ فيه؛ إذ قد لا يَحذِفُ الجازمُ حرفَ العِلَّة، وحَسَّنَ ذلك هنا مراعاةُ الفاصلة. وفيه أيضاً ما فيه.

والأهون للطالب معنى النهي أن يقول: هو خبرٌ أُريد به النهي على أحد التأويلين السابقين آنفاً.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ استثناءٌ مفرغٌ من أعمِّ المفاعيل، أي: لا تنسى أصلاً مما سنقرئكهُ شيئاً من الأشياء إلا ما شاء الله أن تنساه، قيل: أي: أبداً. قال الحسن وقتادة وغيرهما: وهذا مما قضى الله تعالى نَسْخَهُ وأن يرتفع حكمه وتلاوته.

والظاهر أنَّ النسيانَ على حقيقته، وفي «الكشاف» أي: إلا ما شاء الله فذهب به عن حِفْظك برَفْعِ حُكْمه وتلاوته[1]. وجَعْلُ النسيان عليه بمعنى رَفْع الحكم والتلاوة وكنايةً عنه؛ لأنَّ ما رُفِعَ حُكْمُهُ وتلاوته يُتْرَكُ فيُنسى، فكأنه قيل ـ بناءً على إرادة المعنيين في الكنايات ـ: سنقرئك القرآنَ فلا تنسى شيئاً منه ولا يُرفَعُ حُكمه وتلاوته، إلا ما شاء الله فتنساه ويُرفع حكمه وتلاوته. أو نحو هذا، وأنا لا أرى ضرورةً إلى اعتبار ذلك.

والباء في «برفع» إلخ للسببية، والمراد: إما بيانُ السبب العادي البعيد لذهاب الله تعالى به عن الحفظ، فإنَّ رَفْعَ الحكم والتلاوة يؤدِّي عادةً في الغالب إلى ترك التلاوة؛ لعدم التعبُّد بها، وإلى عدم إخطاره في البال لعدم بقاء حكمه، وهو يؤدِّي عادةً في الغالب أيضاً إلى النسيان. أو بيانُ السبب الدافع لاستبعاد الذهاب به عن حفظه عليه الصلاة والسلام، وهو كالسبب المجوِّزِ لذلك. وأيًّا ما كان فلا حاجةَ إلى جَعْلِ معنى «فلا تنسى»: فلا تتركُ تلاوةَ شيءٍ منه والعملَ به. فتأمل.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٤٣.

ثم إنه لا يلزمُ من كون ما شاء الله تعالى نسيانَه مما قضى سبحانه أن يرتفع حكمه وتلاوته أن يكون كلُّ ما ارتفع حُكْمه وتلاوته قد شاء الله تعالى نسيانَ النبيِّ ﷺ له، فإنَّ من ذلك ما يحفظه العلماء إلى اليوم، فقد أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها: كان فيما أُنزل: عَشْرُ رَضَعاتٍ معلوماتٍ، فَنُسِخْنَ بخمسٍ معلومات. الحديث(١)، وكونه ﷺ نسيَ الجميعَ بعد تبليغه وبقي ما بقي عند بعضِ مَنْ سَمِعَهُ منه عليه الصلاة والسلام فَنُقِلَ حتى وَصَلَ إلينا، بعيدٌ وإن أمكن عقلاً.

وقيل: كان ﷺ يَعْجَلُ بالقراءة إذا لقَّنه جبريل عليه السلام، فقيل: لا تعجلْ فإنَّ جبريل عليه السلام مأمورٌ أن يقرأه عليك قراءةً مكرَّرةً إلى أن تحفظه، ثم لا تنساه إلا ما شاء الله تعالى، ثم تذكره بعد النسيان. وأنت تعلم أنَّ الذِّكْرَ بعد النسيان وإن كان واجباً إلا أنَّ العلم به لا يُستفاد من هذا المقام.

وقيل: إنَّ الاستثناءَ بمعنى القِلَّة، وهذا جارٍ في العُرْف، كأنه قيل: إلا ما لا يعلم؛ لأنَّ المشيئةَ مجهولةٌ، وهو لا محالة أقلُّ من الباقي بعد الاستثناء، فكأنه قيل: فلا تنسى شيئاً إلا شيئاً قليلاً، وقد جاء في «صحيح البخاري» وغيره أنه ﷺ أسقطَ آيةً في قراءته في الصلاة، وكانت صلاةَ الفجر، فَحَسِبَ أُبَيٌّ أنها نُسختْ، فسأله عليه الصلاة والسلام، فقال: «نُسِّيتُها»(٢) ثم إنه عليه الصلاة والسلام لا يُقَرُّ على نسيانه القليل أيضاً، بل يُذكِّرُهُ الله تعالى، أو يُيسِّرُ من يُذكِّره، ففي «البحر» أنه ﷺ قال حين سمع قراءة عباد بن بشر(٣): «لقد ذكَّرني كذا وكذا آية في سورة كذا وكذا»(٤).

---

(١) صحيح مسلم (١٤٥٢)، ولم نقف عليه في صحيح البخاري.

(٢) لم نقف عليه في الصحيح، وإنما أخرجه البخاري في القراءة خلف الإمام (١٩٣)، وأحمد (١٥٣٦٥)، وهو من حديث عبد الرحمن بن أبزى.

(٣) في الأصل و(م) والبحر: بشير، والصواب ما أثبتناه، وهو عباد بن بشر بن وقش من بني عبد الأشهل، ذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدراً، قال: واستشهد باليمامة. الإصابة ٥/ ٣١١، وينظر ما سيأتي في التعليق الذي بعده.

(٤) البحر ٨/ ٤٥٩، وأخرج البخاري (٢٦٥٥)، ومسلم (٧٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ في المسجد فقال: «رحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية =

وقيل: الاستثناء بمعنى القِلَّة، وأُريد بها النفي مجازاً، كما في قولهم: قَلَّ مَنْ يقول كذا، قيل: والكلام عليه من باب:

ولا عَيْبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهم[1]

البيت، والمعنى: فلا تنسى إلا نسياناً معدوماً. وفي «الحواشي العصامية على أنوار التنزيل»[2]: إنَّ الاستثناءَ على هذا الوجه لتأكيد عموم النفي، لا لنقض عمومه.

وقد يقال: الاستثناءُ من أعمِّ الأوقات، أي: فلا تنسى في وقتٍ من الأوقات إلا وقتَ مشيئة الله تعالى نسيانك، لكنه سبحانه لا يشاء، وهذا كما قيل في قوله تعالى في أهل الجنة: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] وقد قدمنا ذلك[3]. وإلى هذا ذهب الفراء[4] فقال: إنه تعالى ما شاء أن يُنسيَ النبيَّ ﷺ شيئاً، إلا أنَّ المقصود من الاستثناء بيانُ أنه تعالى لو أراد أن يُصيِّره عليه الصلاة والسلام ناسياً لذلك لَقَدَرَ عليه كما قال سبحانه: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦] ثم إنَّا نقطعُ بأنه تعالى ما شاء ذلك، وقال له ﷺ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] مع أنه عليه الصلاة والسلام لم يُشرِكِ البتَّةَ، وبالجملة ففائدةُ هذا الاستثناء أن يُعرِّفه الله تعالى قُدْرته حتى يعلمَ ﷺ أنَّ عَدَمَ

= أسقطتهن من سورة كذا وكذا» قال البخاري: وزاد عباد بن عبد الله عن عائشة: تهجَّد النبي ﷺ في بيتي فسمع صوت عبَّاد يصلي في المسجد، فقال: «يا عائشة، أصوت عباد هذا؟» قلت: نعم. قال: «اللهم ارحم عباداً». قلنا: وصله أبو يعلى (٤٣٨٨) من طريق عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت: تهجَّد رسول الله ﷺ في بيته وتهجد عباد بن بشر في المسجد، فسمع رسول الله ﷺ صوته... الحديث، وينظر فتح الباري ٥/ ٢٦٥.

(١) صدر بيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص١١ وتمامه:
بهنَّ فلولٌ من قِراع الكتائب

(٢) هي حاشية عصام الدين الإسفراييني، إبراهيم بن محمد بن عربشاه، المتوفى سنة (٩٤٣هـ). طبقات المفسرين للأدرنهوي ص ٣٧٦..

(٣) ينظر ١١/ ١٤١ وما بعدها.

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٢٥٦.

النسيان من فضله تعالى وإحسانه، لا من قوته، أي: حتى يتقوَّى ذلك جدًّا، أو ليُعرِّفَ غيرَه ذلك، وكأنَّ نفيَ أن يشاء الله تعالى نسيانه عليه الصلاة والسلام معلومٌ من خارج، ومنه آية: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ الآية [القيامة: ١٦].

وقد أشار أبو حيان إلى ما قاله الفراء وإلى الوجه الذي قبله وأباهما غاية الإباء؛ لعدم الوقوف على حقيقتهما، وقال: لا ينبغي أن يكون ذلك في كلام الله تعالى، بل ولا في كلامٍ فصيح[١]. وهو مجازفةٌ منه عفا الله تعالى عنه.

ثم إنَّ المراد من نفي نسيان شيءٍ من القرآن نفي النسيان التامِّ المستمرِّ، فما[٢] لا يُقَرُّ عليه ﷺ كالذي تضمَّنه الخبر السابق ليس كذلك، وقد ذكروا أنه عليه الصلاة والسلام لا يُقَرُّ على النسيان فيما كان من أصول الشرائع والواجبات، وقد يُقَرُّ على ما ليس منها، أو منها وهو من الآداب والسنن، ونُقِلَ هذا عن الإمام الرازي عليه الرحمة[٣] فليحفظ.

والالتفاتُ إلى الاسم الجليل على سائر الأوجه لتربية المهابة والإيذان بدَوَران المشيئة على عنوان الألوهية المستتبعة لسائر الصفات.

ورَبْطُ الآية بما قبلها على الوجه الذي ذكرناه هو الذي اختاره في «الإرشاد»[٤]، وقال أبو حيان[٥]: إنه سبحانه لما أمره ﷺ بالتسبيح، وكان لا يتمُّ إلا بقراءة ما أُنزل عليه من القرآن، وكان ﷺ يتفكر[٦] في نفسه مخافةَ أن ينسى، أزال سبحانه عنه ذلك بأنه عزَّ وجلَّ يُقرئه، وأنه لا ينسى إلا ما شاء أن يُنسيه لمصلحة.

وفيه نظرٌ لا يخفى، ولو قيل: إنَّ «سنقرئك» استئنافٌ واقعٌ موقعَ التعليل

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٤٥٩.
(٢) في (م): مما، وهو تصحيف.
(٣) التفسير الكبير ٣١/ ١٤٣.
(٤) إرشاد العقل السليم ٩/ ١٤٤.
(٥) في البحر ٨/ ٤٥٩.
(٦) في البحر ٨/ ٤٥٩: يتذكر.

للتسبيح، أو للأمر به، فيفيدُ جلالةَ الإقراء، وأنه مما ينبغي أن يقابَلَ بتنزيه الله تعالى وإجلاله، كان أهون مما ذُكر، ونحوُه كونُه في موقع التعليل على معنى: هَيِّئْ نفسَكَ للإفاضة عليك بتسبيح الله تعالى؛ لأنّا سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله. ويتضمَّنُ ذلك الإشارةَ إلى فَضْلِ التسبيح، وقد وردتْ أخبارٌ كثيرةٌ في ذلك، وذكر الثعلبيُّ بعضاً منها، ونقله ابن الشيخ في «حواشيه على تفسير البيضاوي» والله تعالى أعلم بصحته.

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾ تعليلٌ لما قبله، والجهر هنا: ما ظهر قولاً أو فعلاً أو غيرهما، وليس خاصًّا بالأقوال بقرينة المقابلة، أي: إنه تعالى يعلم ما ظهر وما بَطَنَ من الأمور التي من جملتها حالُكَ وحِرْصُكَ على حفظ ما يُوحى إليك بأسره، فيقرئك ما يقرئك، ويَحْفَظُكَ عن نسيان ما شاء منه، ويُنسِيكَ ما شاء منه مراعاةً لما نِيْطَ بكلٍّ من المصالح والحكم التشريعية.

وقيل: توكيدٌ لجميع ما تقدَّمه، وتوكيدٌ لما بعده.

وقيل: توكيدٌ لقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ إلخ على أنَّ الجهر ما ظهر من الأقوال، أي: يعلمُ سبحانه جهرَكَ بالقراءة مع جبريل عليه السلام، وما دعاك إليه من مخافة النسيان، فيعلمُ ما فيه الصلاح من إبقاءٍ وإنساءٍ، أو: فلا تخفْ فإني أكفيكَ ما تخافُ.

وقيل: إنه متعلِّقٌ بقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾. وهذا ليس بشيءٍ كما ترى.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾ عَطْفٌ على «سنقرئك» كما يُنبئ عنه الالتفات إلى الحكاية، وما بينهما اعتراضٌ واردٌ لما سمعتَ، وتعليقُ التيسير به ﷺ مع أنَّ الشائعَ تعليقُهُ بالأمور المسخَّرة للفاعل كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ [طه: ٢٦] للإيذان بقوة تمكينه عليه الصلاة والسلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك مَلَكَةً راسخةً له، كأنه عليه الصلاة والسلام جُبِلَ عليها، أي: نوفِّقك توفيقا مستمرًّا للطريقة اليسرى في كلِّ بابٍ من أبواب الدين عِلْماً وتعليماً واهتداءً وهدايةً،

فيندرجُ فيه تيسيرُ طريق تلقِّي الوحي[١] والإحاطة بما فيه من أحكام الشريعة السَّمْحة والنواميس الإلهية مما يتعلَّقُ بتكميل نفسه الكريمة ﷺ وتكميل غيره كما يُفصِحُ عنه الفاء فيما بعد. كذا في «الإرشاد»[٢].

وقيل: المراد باليسرى: الطريقةُ التي هي أيسرُ وأسهلُ في حفظ الوحي.

وقيل: هي الشريعةُ الحنيفيةُ السهلة.

وقيل: الأمور الحسنة في أمر الدنيا والآخرة، من النصر وعلوِّ المنزلة والرفعة في الجنة. وضَمَّ إليها بعضُ أمرَ الدين، وهو مع هذا الضمِّ تعميمٌ حَسَنٌ، وظاهرٌ عليه أيضاً أمر الفاء في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾ أي: فذكِّرِ الناسَ حسبما يسَّرناك بما يوحى إليك، واهدهم إلى ما في تضاعيفه من الأحكام الشرعية، كما كنت تفعله.

وقيل: أي: فذكِّر بعد ما استتبَّ - أي: استقامَ وتهيَّأ - لك الأمر، فإن أراد: فَدُمْ على التذكير بعد ما استقام لك الأمرُ من إقرائك الوحي وتعليمك القرآن بحيث لا تنسى منه إلا ما اقتضتِ المصلحةُ نسيانه، وتيسيرك للطريقة اليسرى في كلِّ بابٍ من أبواب الدين = فذاك، وإلا فليس بشيءٍ.

وتقييدُ التذكير بنَفْعِ الذكرى لِمَا أنَّ رسول الله ﷺ كان قد ذَكَّرَ وبالغ فيه، فلم يَدَعْ في القوس مَنْزِعاً، وسَلَكَ فيه كلَّ طريقٍ، فلم يترك مَضيقاً ولا مَهْيَعاً[٣] حرصاً على الإيمان وتوحيد الملك الديان، وما كان يزيدُ ذلك بعضَ الناس إلا كفراً وعناداً، وتمرُّداً وفساداً، فأُمِرَ ﷺ تخفيفاً عليه - حيثُ كاد الحرصُ على إيمانهم يُوجِّهُ سهام التلف إليه كما قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦] - بأن يخصّ التذكير بمواد النفع في الجملة بأن

---

(١) في الأصل و(م): تيسير تلقي طريقي الوحي، والمثبت من إرشاد العقل السليم ٩/ ١٤٥، والكلام منه.

(٢) ٩/ ١٤٥.

(٣) المضيق: ما ضاق من الأماكن والأمور. والمَهْيَع: الطريق البيِّن. القاموس المحيط (ضاق) (هيع).

يكون مَنْ يُذكِّره كلًّا أو بعضاً ممن يُرجى منه التذكُّر، ولا يُتعِبَ نفسَهُ الكريمةَ في تذكير مَنْ لا يُوْرِثُه التذكير إلا عتوًّا ونفوراً وفساداً وغروراً من المطبوع على قلوبهم، كما في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥] وقوله سبحانه: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ [النجم: ٢٩] وعِلْمُهُ ﷺ بِمَنْ طُبِعَ على قلبه بإعلام الله تعالى إياه عليه الصلاة والسلام به، فهو ﷺ بعد التبليغ وإلزام الحجَّة لا يجب عليه تكريرُ التذكير على مَنْ عَلِمَ أنه مطبوعٌ على قلبه، فالشرطُ على هذا على حقيقته.

وقيل: إنه ليس كذلك، وإنما هو استبعادُ النفع بالنسبة إلى هؤلاء المذكَّرين(١) نعياً عليهم بالتصميم، كأنه قيل: افعل ما أُمرت به لتؤجَرَ وإن لم ينتفعوا به. وفيه تسليةٌ له ﷺ.

ورُجِّحَ الأولُ بأنَّ فيه إبقاءَ الشرط على حقيقته مع كونه أنسب بقوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ أي: سيذكَّر بتذكيرك مَنْ مِنْ شأنه أن يخشى الله تعالى حقَّ خشيته، أو مَنْ يخشى الله تعالى في الجملة، فيزدادُ ذلك بالتذكير فيتفكَّرُ في أمر ما تُذكِّرُهُ به، فيقفُ على حَقِّيَّته، فيؤمنُ به.

وقيل: إنَّ «إنْ» بمعنى «إذ» كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] أي: إذ كنتم؛ لأنه سبحانه لم يُخبرهم بكونهم الأعلون إلا بعد إيمانهم، وقوله ﷺ في زيارة أهل القبور: «وإنَّا إن شاء الله تعالى بكم لاحقون»(٢) وأثبت هذا المعنى لها الكوفيون احتجاجاً بما ذُكِرَ ونظائره، وأجاب النافون عن ذلك بما في «المغني»(٣) وغيره.

وقيل: هي بمعنى «قد»، وقد قال بهذا المعنى قُطرب. وقال عصام الدين: المراد أنَّ التذكيرَ ينبغي أن يكون بما يكون مهمًّا لمن له التذكير، فينبغي تذكيرُ الكافرين بالإيمان، لا بالفروع كالصلاة والصوم والحج؛ إذ لا تنفعهُ بدون الإيمان،

---

(١) في (م): المذكورين.

(٢) أخرجه أحمد (٧٩٩٣)، ومسلم (٢٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ص٣٩ وما بعدها.

وتذكيرُ المؤمن التاركِ للصلاة بها دون الإيمان مثلاً، وهكذا، فكأنه قيل: ذَكِّرْ كلَّ واحدٍ بما ينفعه ويليقُ به.

وقال الفراء والنحاس والجرجانيُّ والزهراويُّ: الكلامُ على الاكتفاء، والأصلُ: فذكِّر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع، كقوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١][1].

والظاهرُ أنَّ الذين لا يقولون بمفهوم المخالفة ـ سواء كان مفهومَ الشرط أو غيره ـ لا يُشْكِلُ عليهم أمرُ هذه الآية كما لا يخفى.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ أي: ويتجنَّبُ الذكرى ويتحاماها ﴿ٱلْأَشْقَى ۝١١﴾ وهو الكافرُ المصرُّ على إنكار المعاد ونحوه، الجازمُ بنفي ذلك مما يقتضي الخشية بوجه، وهو أشقى أنواع الكَفَرة.

وقيل: المراد به الكافرُ المتوغِّلُ في عداوة الرسول ﷺ؛ كالوليد بن المغيرة، وعُتْبة بن ربيعة، وقد روي أنَّ الآية نزلت فيهما، فإنه أشقى من غير المتوغِّلِ.

وقيل: المراد به الكافر مطلقاً، فإنه أشقى من الفاسق.

وقيل: المفضَّل عليه كَفَرَةُ سائر الأمم، فإنه حيث كان المؤمنُ من هذه الأمة أسعد من مؤمنيهم، كان الكافر منها أشقى من كافريهم.

والأوجهُ عندي في المراد بالأشقى ما تقدم.

﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢﴾ أي: الطبقةَ السُّفلى من أطباق النار كما قال الفراء[2]، ولا بُعْدَ في تفاضل نارِ الآخرة وكون بعضٍ منها أكبر من بعض وأشدّ حرارة.

وقال الحسن: الكُبرى: نار الآخرة، والصغرى: نار الدنيا، ففي الصحيحين[3]

---

(١) ذكر قولهم أبو حيان في البحر ٨/ ٤٥٩، وأبو السعود ٩/ ١٤٦، وعنه نقل المصنف، وكلام النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٢٠٦.

(٢) في معاني القرآن ٣/ ٢٥٦.

(٣) البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣)، وهو عند أحمد (٧٣٢٧).

عن أبي هريرة مرفوعاً: «ناركم هذه جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنم» وفي روايةٍ للإمام أحمد[١] عنه مرفوعاً أيضاً: «إنَّ هذه النار جزءٌ من مئة جزءٍ من جهنم» فلعلَّ السبعينَ واردٌ مَوْرِدَ التكثير وهو كثيرٌ.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريحَ ﴿وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ أي: حياةً تنفعُه. وقيل: إنَّ روحَ أحدهم تصيرُ في حَلْقه، فلا تخرجُ فيموت ولا ترجعُ إلى موضعها من الجسد فيحيا. وهو غيرُ غنيٍّ عن التقييد بنحو حياةٍ كاملةٍ، على أنه بَعْدُ لا يخلو عن بحثٍ.

و«ثم» للتراخي في الرتبة، فإنَّ هذه الحالةَ أفظعُ وأعظمُ من نفس الصَّلْي، وقال عصام الدين: يحتملُ أن يكون هذا الكلامُ كناية عن عدم النجاة؛ لأنَّ النجاةَ عن العذاب إنما تكون بالعمل في دارٍ يموت فيها العامل ويحيا، والنَّظْمُ أقربُ إلى هذا المعنى، كيف واللائقُ بالمعنى السابق: ثم لا يكون ميتاً فيها ولا حيًّا، فتأمل. انتهى.

وفي كون اللائق بالمعنى السابق ما ذكره دون ما في النَّظْم الجليل مَنْعٌ ظاهرٌ، والظاهر أنه لائقٌ به مع تضمُّنه رعايةَ الفواصل، وكذا في توجيه كون ما ذُكِرَ كنايةً عن عدم النجاة خفاءٌ، وكأنه لذلك أَمر بالتأمل.

وقد يقال: إنَّ مِثْلَ ذلك الكلام يقال لمن وقع في شِدَّةٍ واستمرَّ فيها، فلا يبعدُ أن يكون فيه إشارةٌ إلى خلودهم في العذاب، وأَمْرُ التراخي الرُّتَبي عليه ظاهرٌ أيضاً؛ لظهور أنَّ الخلودَ في النار الكبرى أفظعُ من دخولها وصَلْيها.

واعلم أنَّ عدم الموت في النار ـ على ما صرَّح به غيرُ واحدٍ ـ مخصوصٌ بالكَفَرة، وأما عصاةُ المؤمنين الذين يدخلونها، فيموتون فيها، واستُدلَّ لذلك بما أخرجه مسلم عن أبي سعيد عن النبيِّ ﷺ: «أما أهلُ النار الذين هم أهلُها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيَوْن، ولكن ناسٌ أصابتهم النار بذنوبهم ـ أو قال: بخطاياهم ـ فأماتهم الله تعالى إماتةً، حتى إذا كانوا فَحْماً أُذِنَ في الشفاعة، فجِيءَ

---

(١) رقم (٨٩٢١).

بهم ضَبائِرَ ضبائر، فَبُثُّوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهلَ الجنة أفيضوا عليهم من الماء، فينبتون نباتَ الحِبَّة في حَميل السيل»(١).

قال الحافظ ابن رجب: إنه يدلُّ على أنَّ هؤلاء يموتون حقيقةً، وتفارقُ أرواحُهم أجسادَهم(٢).

وأُيِّدَ بتأكيد الفعل بالمصدر في قوله عليه الصلاة والسلام: «فأماتهم الله تعالى إماتةً» وأظهرُ منه ما أخرجه البزار عن أبي هريرة مرفوعاً: «إنَّ أدنى أهل الجنة حظًّا ـ أو نصيباً ـ قومٌ يُخرجهم الله تعالى من النار، فيرتاحُ لهم الرَّبُّ تبارك وتعالى، وذلك أنهم كانوا لا يُشركون بالله تعالى شيئاً، فيُنبَذون بالعراء، فينبتون كما ينبتُ البقل، حتى إذا دخلتِ الأرواحُ أجسادَهم فيقولون: ربَّنا كما أخرجتنا من النار وأرجعتَ الأرواحَ إلى أجسادنا، فاصرفْ وجوهنا عن النار، فيَصْرِفُ وجوههم عن النار»(٣).

وهذه الإماتةُ ـ على ما اختاره غيرُ واحدٍ ـ بعدَ أن يذوقوا ما يستحقُّونه من عذابها بحَسَبِ ذنوبهم كما يُشعِرُ به حديثُ مسلم، وإبقاؤهم فيها مَيِّتين إلى أن يُؤذَنَ بالشفاعة لإيجابِه تأخيرَ دخولهم الجنةَ تلك المدَّة كان تتمَّة لعقوبتهم بنوعٍ آخر، فتكونُ ذنوبهم قد اقتضت أن يُعذَّبوا بالنار مدَّةً ثم يُحبَسوا فيها من غير عذابٍ مُدَّةً، فهم كَمَنْ أذنبَ في الدنيا ذنباً، فَضُرِبَ وحُبِسَ بعد الضرب جزاءً لذنبه، ولم يبقوا أحياءً فيها من غير عذابٍ كخزنتها، إما ليكونَ أبعدَ عن أن يهولهم رؤيتها، أو لتكونَ الإماتةُ وإخراجُ الروح من تتمَّةِ العقوبة أيضاً.

---

(١) صحيح مسلم (١٨٥)، وهو عند أحمد (١١٠٧٧). الحِبة بالكسر: بزور البقول وحب الرياحين، وأما الحَبَّة بالفتح: فهي الحنطة والشعير ونحوهما، وحميل السيل: هو ما يجيء به السيل من طين وغثاء ونحوهما، فإذا اتفقت فيه حِبةٌ واستقرت على شط مجرى السيل فإنها تنبت في يوم وليلة، فشبَّه به سرعة عَوْد أبدانهم وأجسامهم إليها بعد إحراق النار لها. النهاية (حبب) و(حمل).

(٢) التخويف من النار لابن رجب ص ١٨٩.

(٣) كشف الأستار (٣٥٥٤). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٤٠٠: رواه البزار ورجاله ثقات.

وقال القرطبيُّ: يجوز أن تكون إماتتهم عند إدخالهم فيها، ويكونُ إدخالهم وصَرْفُ نعيم الجنة عنهم مُدَّةَ كونهم فيها عقوبةً لهم كالحبس في السجن بلا غلٍّ ولا قيدٍ مثلاً، ويجوز أن يكونوا متألِّمين حالةَ موتهم نحو تألُّم الكافر بعد موته وقبل قيام الساعة، ويكون ذلك أخفَّ من تألُّمهم لو بَقُوا أحياء، كما أنَّ تألُّمَ الكافر بعد موته في قبره أخفُّ من تألُّمه إذا أُدخل النار بعد البعث. وهو كما ترى.

وفي «مطامح الأفهام»[1] يجوز أن يُرادَ بالإماتة المذكورة في الحديث: الإنامة، وقد سمَّى الله تعالى النومَ وفاةً؛ لأنَّ فيه نوعاً من عدم الحِسِّ، وفي الحديث المرفوع «إذا أدخلَ الله تعالى الموحِّدين النارَ أماتهم فيها، فإذا أراد سبحانه أن يخرجوا أَمَسَّهم العذابَ تلك الساعة»[2] انتهى.

والمعوَّل عليه ما ذكرناه أولاً والله تعالى أعلم.

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ﴾ أي: نجا من المكروه وظفر بما يرجوه.

﴿مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ أي: تطهَّرَ من الشرك بتذكُّره واتِّعاظه بالذكرى، وحَمْلُهُ على ذلك مرويٌّ عن ابن عباس وغيره، وأخرج البزار وابن مردويه عن جابر بن عبد الله عن النبيِّ ﷺ أنه قال في ذلك: «مَنْ شَهِدَ أن لا إله إلا الله، وخَلَعَ الأنداد، وشَهِدَ أني رسول الله»[3].

واعتبر بعضُهم أمرين فقال: أي: تطهَّر من الكفر والمعصية. وعليه يجوزُ أن يكونَ ما تقدَّم من باب الاقتصار على الأهم.

وقيل: تزكَّى، أي: تكثَّر من التقوى والخشية، من الزكاء وهو النماء.

وقيل: تطهَّر للصلاة.

---

(١) مطامح الأفهام في شرح الأحكام للقاضي عياض. كشف الظنون ٢/ ١٧١٨.

(٢) ذكره الديلمي في الفردوس ١/ ٢٥٢ من حديث أبي هريرة ﷺ، وفي إسناده الحسن بن علي بن راشد، ذكره الذهبي في الضعفاء. ينظر أسنى المطالب لمحمد بن السيد درويش ص٢٨، والمغني في الضعفاء للذهبي ص ١٦٢.

(٣) الدر المنثور ٦/ ٣٣٩، وهو في كشف الأستار (٢٢٨٤)، وفي إسناده عباد بن أحمد العرزمي، وهو متروك كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٣٧.

وقيل: آتى الزكاةَ. وروي هذا عن أبي الأحوص وقتادة وجماعة.

﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ بلسانه وقلبه، لا بلسانه مع غفلة القلب؛ إذ مِثْلُ ذلك لا ثوابَ فيه، فلا ينبغي أن يدخل فيما يترتَّبُ عليه الفلاح، والذِّكْرُ القلبيُّ باستحضار اسمه تعالى في القلب وإن كان ممدوحاً بلا شبهة إلا أنَّ إرادته بخصوصه مما ذُكِرَ خلافُ الظاهر، وحكاه في «مجمع البيان»[1] عن بعضٍ، وما روي عن ابن عباس من قوله: أي: ذَكَرَ معادَهُ وموقفه بين يدي ربه عزَّ وجلَّ، ظاهرٌ فيه وفي إقحام لفظ «اسم».

وذهب بعضُ الحنفية إلى أنَّ المراد بهذا الذكر تكبيرةُ الافتتاح، كأنه قيل: وكبَّر للافتتاح ﴿فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ أي: الصلوات الخمس، كما أخرجه ابن المنذر وغيره عن ابن عباس[2]، وروي ذلك في حديث مرفوع[3]. وقيل: الصلاةَ المفروضةَ وما أمكنَ من النوافل. واحتجَّ بذلك على وجوب التكبيرة، حيث نِيطَ به الفلاحُ، ووقع بين واجبين، بل فَرْضين: التَّزكِّي من الشرك والصلاة، مع أنَّ الاحتياط في العبادات واجبٌ فلا يضرُّ الاحتمال.

وعلى أنَّ الافتتاحَ جائزٌ بكلِّ اسمٍ من أسمائه عزَّ وجلَّ، وهو ظاهرٌ.

وعلى أنَّ التكبيرةَ شرطٌ لا ركنٌ؛ للعطف بالفاء، وعَطْفُ الكلِّ على الجزء كعطفِ العامِّ على الخاصِّ وإن جاز لا يكون بها، مع أنه لو سُلِّم صحته بتكلُّفٍ فلا بدَّ له من نُكْتَةٍ ليُدَّعى وقوعه في الكلام المعجز، فحيث لم تظهرْ لم يصحَّ ادِّعاؤه وبناءُ الركنية عليه. والإنصافُ أنه مع ما سمعت احتجاجٌ ليس بالقوي.

وقيل: هو خصوصُ «بسم الله الرحمن الرحيم» قبل الصلاة. وليس بشيء.

وعن عليٍّ كرم الله تعالى وجهه: «تزكَّى» أي: تصدَّقَ صدقةَ الفطر، و«ذَكَرَ اسم ربه»: كبَّر يوم العيد فصلَّى صلاة العيد. وعن جماعةٍ من السلف ما يقتضي ظاهره ذلك.

---

(١) ٣٠/ ١٠٩.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٣٣٩. وأخرجه الطبري ٢٤/ ٣٢١، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٤١٧.

(٣) قطعة من حديث جابر الذي سلف قريباً.

وتُعقِّبَ بأنَّ الصلاةَ مقدَّمةٌ على الزكاة في القرآن، وأنَّ السورةَ مكيةٌ، ولم يكن حينئذٍ عيدٌ ولا فِطْرٌ.

وَرُدَّ بأنَّ ذلك إذا ذُكِرَتْ باسمها، أما إذا ذُكرت بفعلٍ فتقديمُها غيرُ مُطَّرِدٍ، ومنه ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١] على أنه يجوز أن تكونَ مخالفةُ العادة هاهنا للإرشاد إلى أنَّ هذه الزكاةَ المقدَّمة قولاً ينبغي تقديمُها فعلاً على الصلاة، ولهذا كانوا يُخرجونها قبلَ أن يُصلُّوا العيدَ كما جاء في الآثار، وكونُ السورة مكيةً غيرُ مُجمَعٍ عليه، وعلى القول بِمَكِّيَّتها ـ الذي هو الأصح ـ يكون ذلك مما تأخَّرَ حُكْمُهُ عن نزوله.

وأقول: يجوز أن يقال: «تزكَّى»، أي: تطهَّر من الشرك بأن آمن بقلبه و«ذَكَرَ اسمَ ربِّه»، أي: قال: لا إله إلا الله، «فصلَّى»، أي: الصلاةَ المفروضة. وأخرج ابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس ما يؤيده[1]، فيكون «تزكَّى» إشارة إلى التصديق بالجَنان و«ذَكَرَ اسمَ ربِّه» إلى النطق باللسان، و«صلى» إلى العمل بالأركان؛ لِمَا أنَّ الصلاةَ عمادُ الدين، وأفضلُ الأعمال البدنية، وناهيةٌ عن الفحشاء والمنكر، فلا بِدع أن تُذْكَرَ فيُرادَ جَمْعُ الأعمال البدنية والعبادات القالبية.

وقد يقال: اقتصرَ على ذِكْرِ الصلاة لأنَّ الفرائضَ والواجباتِ البدنية لم تكن تامةً يومَ نزول السورة، وكانت الصلاةُ أهمّ ما نزل إن كان نزل غيرُها، وقد روى عطاءٌ عن ابن عباس، ويزيد النحويُّ عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن أنَّ أولَ ما نزل من القرآن بمكَّة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ ثم ﴿ن﴾ ثم «المزمل»، ثم «المدثر»، ثم ﴿تَبَّتْ﴾ ثم ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ثم ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾[2] ثم إن من رِدافِ[3] لا إله إلا الله: محمد رسول الله، وكان ذِكرُ الله تعالى المطلوب هو مجموع الجملتين،

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ١٠/٣٤١٧، وتفسير الطبري ٢٤/٣١٩، ٣٢١.
(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٧/١٤٢.
(٣) أي: توابع، الرِّداف: جمع الرِّدف والرديف، وهو كل ما تبع شيئاً. معجم متن اللغة (ردف).

فلا بُعْدَ في أن يُرادَ من ذِكْره تعالى في الآية، وإذا اعتُبر الإتيانُ باسمه عزَّ وجلَّ في الجملة الثانية على الوجه الذي أتى به ذِكْراً له تعالى، كان أمرُ الإرادة أقربَ، وهذا الوجهُ لا يخلو عن حُسْن.

وكلمةُ «قد» لما أنه عند الإخبار بسوء حال المتجنِّب عن الذِّكر في الآخرة يتوقَّعُ السامعُ الإخبارَ بحُسْن حال المتذكِّر فيها، ولا يَبْعُدُ أن تكونَ الجملةُ مستأنفةً استئنافاً جواباً لسؤالٍ نشأ عن بيانِ حال المتجنِّب، والسكوتِ عن حال المتذكِّر الذي يخشى، فكأنه قيل: ما حالُ مَنْ تذكَّر، فقيل: قد أفلح.. إلى آخره.

وكان الظاهرُ: قد أفلح مَنْ تذكَّر، إلا أنه وُضِعَ «مَنْ تزكَّى» إلى آخره موضعَ «مَنْ تذكَّر» إشارة إلى بيان المتذكر بسماته.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ إضرابٌ عن مُقدَّرٍ ينساق إليه الكلام، كأنه قيل إثر بيان ما يؤدي إلى الفلاح: لا تفعلون ذلك بل تؤثرون.. إلخ، ولعلَّهُ مرادُ مَنْ قال: إنه إضرابٌ عن «قد أفلح» إلخ.

وقيل: إضرابٌ عن بيان حال المتذكِّر والمتجنِّب، إلى بيان أنه لا ينفع هذا البيانُ وأضعافُه المتمرِّدينَ، على وجهٍ يتضمَّنُ بيانَ سبب عدم النفع، وهو إيثار الحياة الدنيا. والخطابُ على هذا للكفرة الأشْقَيْنَ من أهل مكة، وعلى الأول يحتملُ أن يكون لهم، فالمراد بإيثار الحياة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها، والإعراض عن الآخرة بالكلية، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ الآية [يونس: ٧] ويحتمل أن يكون لجميع الناس على سبيل التغليب، فالمراد بإيثارها ما هو أعمُّ مما ذُكِرَ، وما لا يخلو عنه الناس غالباً من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة في السعي وترتيب المبادي. وعن ابن مسعود ما يقتضيه.

والالتفاتُ على الأول لتشديد التوبيخ، وعلى الثاني كذلك في حقِّ الكفَرة، ولتشديد العتاب في حق المسلمين.

وقيل: لا التفات؛ لأنه بتقدير «قل».

وقرأ عبد الله وأبو رجاء والحسن والجحدري وأبو حيوة وابن أبي عبلة وأبو عمرو والزعفراني وابن مقسم: «يؤثرون» بياء الغيبة[1].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧﴾ حالٌ من فاعل «تؤثرون» مؤكِّدة للتوبيخ والعتاب، أي: تؤثرونها على الآخرة والحالُ أنَّ الآخرةَ خيرٌ في نفسها؛ لِمَا أنَّ نعيمها مع كونه في غاية ما يكون من اللَّذَّة خالصٌ عن شائبة الغائلة أبديٌّ لا انصرامَ له. وعدمُ التعرُّض لبيان تكدُّر نعيم الدنيا بالمنغِّصات وانقطاعِه عمَّا قليلٍ لغاية الظهور.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ إشارةٌ ـ على ما أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن زيد ـ إلى قوله تعالى: (وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ)[2] وروي ذلك عن قتادة.

وقال غيرُ واحدٍ: إشارةٌ إلى ما ذُكر من قوله سبحانه: (قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ) إلخ. وسيأتي إن شاء الله تعالى في الحديث ما يشهد له.

وقال الضحاك: إشارةٌ إلى القرآن، فالآيةُ كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦].

وعن ابن عباس وعكرمة والسدي: إشارةٌ إلى ما تضمَّنته السُّوَر جميعاً. وفيه بعدٌ.

﴿لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨﴾ أي: ثابتٌ فيها معناه، وقرأ الأعمش وهارون وعصمة كلاهما عن أبي عمرو بسكون الحاء، وكذا فيما بعد، وهي لغةُ تميمٍ على ما في «اللوامح»[3].

﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾ بدلٌ من «الصحف الأولى» وفي إبهامها وَوَصْفِها بالقِدَم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شأنها ما لا يخفى، وكانت صحفُ إبراهيمَ عشرة، وكذا صحف موسى عليه السلام، والمراد بها ما عدا التوراة، أخرج عبد بن

(١) التيسير ص٢٢١، والنشر ٢/ ٤٠٠ عن أبي عمرو، والكلام من البحر ٨/ ٤٦٠.
(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٣٢٤-٣٢٥.
(٣) البحر المحيط ٨/ ٤٦٠.

حميد وابن مردويه وابن عساكر عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله: كم أنزل الله تعالى من كتاب؟ قال: «مئة كتاب وأربعة كتب، أَنزل على شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراةَ والإنجيل والزبور والفرقان». قلت: يا رسول الله، فما كانت صحف إبراهيم؟ قال: «أمثالٌ كلُّها، أيها الملك المتسلِّطُ المُبتَلَى[1] المغرور، لم أبعثك لتجمعَ الدنيا بعضَها إلى بعض، ولكنْ بعثتكَ لتردَّ عني دعوةَ المظلوم، فإني لا أردُّها ولو كانت من كافر، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ثلاث ساعات: ساعةٌ يناجي فيها ربَّه، وساعةٌ يُحاسِبُ فيها نفسَهُ ويتذكَّر فيما صنع، وساعةٌ يخلو فيها لحاجته من الحلال، فإنَّ في هذه الساعة عوناً لتلك الساعات، واجتماعاً للقلوب، وتفريغاً لها. وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، فإنَّ مَنْ حَسَبَ كلامَهُ من عمله أقلَّ الكلام إلا فيما يعنيه. وعلى العاقل أن يكون طالباً لثلاث: مَرَمَّةٌ لمعاش، أو تزوُّدٌ لمعاد، أو تلذُّذٌ في غير محرَّم». قلت: يا رسول الله، فما كانت صحف موسى؟ قال: «كانت عِبَراً كلّها: عجبتُ لمن أيقن بالموت ثم يفرح، ولمن أيقن بالنار ثم يضحك، ولمن يرى الدنيا وتقلُّبها بأهلها ثم يطمئنُّ إليها، ولمن أيقن بالقَدَر ثم يغضب، ولمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل» قلت: يا رسول الله، هل أُنزل عليك شيءٌ مما كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال: «يا أبا ذر نعم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾[2]. والله تعالى أعلم بصحَّة الحديث.

وقرأ أبو رجاء: «إبرهَم» بحذف الألف والياء، وبالهاء مفتوحةً ومكسورةً،

---

(١) قبلها في الأصل و(م): على، والمثبت من المصادر على ما يأتي.

(٢) تاريخ دمشق ٢٣/ ٢٧٨، والكلام من الدر المنثور ٦/ ٣٤١، وأخرجه أيضاً ابن عدي ٧/ ٢٦٩٩، وفيه يحيى بن سعد السعدي عن ابن جريج، قال ابن عدي: هذا حديث منكر من هذا الطريق عن ابن جريج، ويحيى بن سعد هذا يعرف بهذا الحديث.
وأخرجه ابن حبان (٣٦١) بإسناد آخر عن أبي ذر، وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، قال عنه أبو حاتم: كذاب، كما في الجرح والتعديل ٢/ ١٤٢-١٤٣.

وعبد الرحمن بن أبي بكرة بكسرها لا غير. وقرأ أبو موسى الأشعري وابن الزبير: «إبراهام» بألفين في كلِّ القرآن. وقرأ مالك بن دينار: «إبراهَم» بألفٍ وفتح الهاء وبغير ياء[١]. وجاء كما قال ابن خالويه: «إبرهُم» بضم الهاء بلا ألفٍ ولا ياء[٢].

وهذا من تصرُّفات العرب في الأسماء الأعجمية، فإنَّ إبراهيم على الصحيح منها، وحكى الكرمانيُّ في عجائبه أنه اسمٌ عربيٌّ مشتقٌّ من البرهمة، وهي شِدَّةُ النظر. ونَسَبُهُ قد تقدم، وكذا نَسَبُ موسى صلى الله تعالى عليهما وسلم.

(١) تنظر هذه القراءات في القراءات الشاذة ص ١٧٢، والبحر ٨/ ٤٦٠، وعنه نقل المصنف.
(٢) القراءات الشاذة ص١٧٢.

(سورة الأعلىٰ)

(مكيّة) وهي تسع عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾﴾

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ نزّه ذاته عما لا يليق به، (والاسم صلة) وذلك بأن يفسر الأعلى بمعنى العلوّ الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلوّ في المكان. وقيل: قل سبحان ربي الأعلىٰ. (وفي الحديث) لما نزلت قال ﷺ: اجعلوها في سجودكم ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾﴾ (أي خلق كل شيء فسوّى خلقه) تسوية ولم يأت

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الأعلى) وتسمى سورة سبّح (مكية) عند الجمهور واختارها المصنّف رحمه الله، وقيل: إنها مدنيّة وهي تسع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان وأربعة وثمانون حرفًا. اهـ خطيب. وفي الخازن واحد وتسعون بدل وأربعة وثمانون. **قوله:** (والاسم صلة) أي زائد. **قوله:** (وفي الحديث...) الخ هذا حديث صحيح. أخرجه أبو داود وغيره عن عقبة بن عامر. **قوله:** (أي خلق[1] كلّ شيء فسوّى خلقه) إشارة إلى أن حذف مفعول كل واحد من ﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ لقصد التعميم.

---

(١) قوله: خلق كل شيء... الخ العموم مستفاد من عدم ذكر المفعول ١٢ منه رحمه الله.

به متفاوتًا غير ملتئم ولكن على إحكام واتساق، دلالة على أنه صادر عن عالم حكيم، أو سوّاه على ما فيه منفعة ومصلحة.

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ۝٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ أي قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرّفه وجه الانتفاع به، أو فهدى وأضلّ ولكن حذف وأضلّ اكتفاء كقوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [فاطر: الآية ٨]. (﴿قَدَرَ﴾ **علي**) ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۝٤﴾ أنبت ما ترعاه الدواب ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً﴾ يابسًا هشيمًا ﴿أَحْوَىٰ﴾ أسود «فأحوى» صفة الغثاء ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ۝٦﴾ سنعلمك القرآن حتى تنساه ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن ينسخه وهذا بشارة من الله لنبيّه أن يحفظ عليه الوحي حتى لا (**ينفلت**) منه شيء إلا ما شاء الله أن ينسخه فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته. وسأل ابن كيسان النحوي (**جنيدًا**) عنه فقال: فلا تنسى العمل به فقال: مثلك يصدر. وقيل: قوله: ﴿فَلَا تَنسَىٰ﴾ على النهي والألف مزيدة للفاصلة كقوله: ﴿السَّبِيلَا﴾ [الأحزاب: الآية ٦٧] أي فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه إلا ما شاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ أي إنك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل مخافة (**التفلت**) والله يعلم جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك إلى الجهر، أو ما تقرأ في نفسك مخافة النسيان، أو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم وما ظهر وما بطن من أحوالكم.

قوله: (﴿قَدَرَ﴾) بتخفيف الدال (**علي**) الكسائي والباقون بالتشديد. قال البغوي: وهما بمعنى واحد. **قوله:** (**ينفلت**) في لسان العرب الانفلات التخلّص من الشيء فجأة من غير تمكث. اهـ. وفي المصباح انفلت خرج بسرعة. اهـ.

قوله: (**جنيدًا**) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد سيّد هذه الطائفة وإمامهم مات سنة سبع وتسعين ومائتين. **قوله:** (**التفلّت**) في مختار الصحاح أَفْلَتَ الشيء وتفلّت انفلت بمعنى. اهـ.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾ معطوف على ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي أيسر وأسهل يعني حفظ الوحي. وقيل: للشريعة السمحة التي هي أيسر الشرائع أو نوفقك لعمل الجنّة.

﴿فَذَكِّرْ﴾ عظ بالقرآن ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ جواب «إن» مدلول قوله: ﴿فَذَكِّرْ﴾ قيل: **(ظاهره شرط ومعناه استبعاد لتأثير الذكرىٰ فيهم)**. وقيل: هو أمر بالتذكير على الإطلاق كقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١﴾ [الغاشية: الآية ٢١]، غير مشروط بالنفع.

﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ سيتعظ ويقبل التذكرة ﴿مَن يَخْشَىٰ﴾ الله وسوء العاقبة ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ ويتباعد عن الذكرىٰ فلا يقبلها (﴿ٱلْأَشْقَى﴾) الكافر أو الذي هو أشقى الكفرة **(لتوغله)** في عداوة رسول الله ﷺ. قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢﴾ يدخل نار جهنم والصغرى نار الدنيا (﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾) فيستريح من العذاب (﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾) حياة يتلذذ بها. وقيل: «ثم» لأن الترجح بين الحياة والموت أفظع من الصلي فهو متراخٍ عنه في مراتب الشدة.

قوله: (ظاهره شرط ومعناه استبعاد لتأثير الذكرى فيهم) فلا يكون معنى الشرط مرادًا بل المراد لازمه وهو عدم تأثير الذكرى. وفي الكشاف كما تقول عظ فلانًا إن تسمع منك قاصدًا بهذا الشرط استبعادًا لقبوله، فالمعنى ﴿فَذَكِّرْ﴾ الخلق طرًا ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي الذكر وتأثيره مستبعد ممن طبع على قلوبهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: الآية ١٠١].

قوله: (﴿ٱلْأَشْقَى﴾) بمعنى الشقي أي الكافر أي جنسه. **قوله: (لتوغله)** في لسان العرب توغل في الأرض ذهب فأبعد فيها. اهـ.

قوله: (﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾) وهذا في حق الكافر وأما العاصي فيموت في النار، كذا ورد في مسلم مرفوعًا.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾

﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ نال الفوز ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من الشرك أو تطهر للصلاة أو أدّى الزكاة (**تفعل من الزكاة، تصدق من الصدقة**) ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ وكبر للافتتاح ﴿فَصَلَّىٰ﴾ (**الخمس**) وبه يحتجّ على وجوب تكبيرة الافتتاح، (**وعلى أنها ليست من الصلاة**)، لأن الصلاة عطفت عليها وهو يقتضي المغايرة، وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه ﷻ. (**وعن ابن عباس**) ﵄: ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلّى له. و(**عن الضحاك**): وذكر اسم ربه في طريق المصلّى فصلّى صلاة العيد.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ على الآخرة فلا تفعلون ما به تفلحون. والمخاطب به الكافرون دليله (**قراءة أبي عمرو ﴿يؤثرون﴾ بالياء**) ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾ أفضل من نفسها وأدوم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾﴾ هذا إشارة إلى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ إلى ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ أي أن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف أو إلى ما في السورة كلها، (**وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة**) لأنه جعله مذكورًا في تلك الصحف مع أنه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة

قوله: (تفعل من الزكاة، تصدق من الصدقة) أي ﴿تَزَكَّىٰ﴾ بمعنى تصدّق وأدّى الزكاة. **قوله**: (الخمس) أي الصلوات الخمس هو المنقول عن عليّ وعمر بن عبد العزيز. **قوله**: (وعلى أنها ليست من الصلاة) أي استدلّ به على أن التحريمة شرط لا ركن في تنوير الأبصار من فرائضها التحريمية وهي شرط. اهـ. **قوله**: (وعن ابن عباس) هو عبد الله بن عباس كان يُسمى البحر والحبر لسعة علمه. مات سنة ثمان وستين بالطائف رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: (عن الضحاك) بن مزاحم الهلالي أبي القاسم أو أبي محمد الخراساني صدوق مات بعد المائة.

قوله: (قراءة أبي عمرو «ويؤثرون» بالياء) الغيبة والباقون بتاء الخطاب. **قوله**: (وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة) في تأويلات الإمام

﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ بدل من ﴿ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ **(وفي الأثر)** وفي صحف إبراهيم: ينبغي للعاقل أن يكون حافظًا للسانه عارفًا بزمانه مقبلًا على شأنه.

أبي منصور رحمه الله. وفي قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ دلالة أن اختلاف الألسن لا يغير الأشياء عن حقائقها لأن الله تعالى شهد هذا في الصحف الأولى، فليس في الصحف الأولى بهذا اللسان فيكون فيه حجة لأبي حنيفة رحمه الله في تجويز القراءة بالفارسية. اهـ. والأصح أنه رجع إلى قولهما في اشتراط القراءة بالعربية إلا عند العجز وعليه الفتوى.

قوله: (وفي الأثر) في مصطلحات أهل الأثر على شرح نخبة الفكر للعلّامة علي بن سلطان محمد الهروي القاري المتوفّى سنة أربع عشرة وألف رحمه الله. قال السخاوي: الأثر لغة البقية واصطلاحًا الأحاديث مرفوعة كانت أو موقوفة على القول المعتمد وإن قصره بعض الفقهاء على الموقوف انتهت.

تمّت سورة الأعلىٰ بحمد الله وعونه وحُسْن توفيقه
وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم